

الشيخ العيل
بلال فضل
قصص قصيرة وأخرى نحيلة..






عصير الكتب
Facebook.com/groups/Book.juice

الشيخ
العيّل

# الشيخ العَيِّل

قصص قصيرة.. وأُخرى نحيلة

بلال فضل

تصميم الغلاف: وليد طاهر

**الطبعـة الأولى ٢٠١٣**

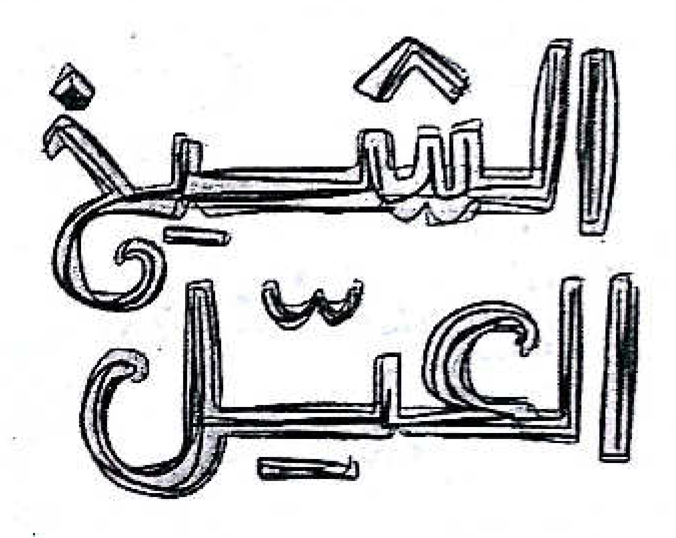
تصنيف الكتاب: أدب/ قصص قصيرة



٨ شـارع سيبويـه المصـري
مدينة نصر ـ القاهرة ـ مصر
تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩
www.shorouk.com

رقـم الإيداع ٢٢٩٨٠/ ٢٠١٢
ISBN 978-977-09-3197-4

بلال فضل




قصص قصيرة... وأخرى نحيلة

دار الشروق






عصير الكتب
Facebook.com/groups/Book.juice

إلى سِدرة مُنتهاي؛

داليا السيد






عصير الكتب
Facebook.com/groups/Book.juice

«تَعبُرني أيامٌ متتالية، لا أفكر إلا في وطني، ثم فجأة، تعرفين.. تصفعني رائحته، وآنئذٍ، ولعدة أيام وأسابيع، أعود لا أعرف سوى تلك الرائحة، ويصبح حنيني ورغبتي في العودة إليه من القوة بحيث لا يمكنني أن أُسَكّن ألمي أحيانا سوى بالبكاء.

... لكن قل لي أي نوع من الحب هو وأي نوع من الروائح؟

ـ إنها ليست رائحة البحر أو الأرض أو أشجار الصنوبر، كلا، ليس حبي لوطني حبًا جغرافيًا، هناك طبعا بعض المناظر التي لا تزال تسكن عيني وتناديني، غير أن رائحة الوطن وحب الوطن هو حب البشر الذين فيه، وحين أقول البشر...

ـ طبعا لا تقصد البورجوازيين؟

ـ لا، فالبورجوازيون ليسوا بشرا بالنسبة لي، إنهم ليسوا أتراكًا، ولا روسًا ولا فرنسيين، إنهم ليسوا بشرا.

ـ هذا ما أعتقده أيضا».

**الشاعر التركي العظيم ناظم حكمت**

**من روايته «الحياة جميلة يا صاحبي»**

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

# المحتويات

الصفحة

# قصص قصيرة

# جبهة شرف العذارى!

الضربة جاءته من حيث لا يدري ولا يحتسب، ولذلك كانت موجعة جدا، ولذلك أيضا كان رد سيادة اللواء قاتلا. قاتلا، قاتلا بمعنى الكلمة.

«طلقة في الرأس». الحكاية واضحة وضوح الشمس، أو قل وضوح الثقب في جبين القتيل، ولن يكون ثمة مجال لأي لف أو دوران يمكن أن يطلبهما مسئول من أي طبيب شرعي أيا كان مدى تعاونه أو إيمانه بضرورة استقرار البلاد التي لم تعد تحتمل المزيد من اللغط والفوضى.

«اتصرف يا سيدي، أنت مش هتغلب». رئيس المباحث الجنائية استمع لتوجيه وزير الداخلية باهتمام وقال له إنه سيتصرف كالعادة ولن يخذل ثقته فيه، لكنه فقط يريد أن يفهم حقيقة ما حدث. «يا سيدي مش مهم حد فينا يتنيل يفهم.. هو في حد فاهم حاجة أصلا في البلد بحالها.. المهم نتصرف.. سيادة اللواء مش عايز يتكلم ولما حاولت أسأله كده بصنعة لطافة هَبّ فيَّ وقال لي إن

عنده استعداد يتحمل مسئولية اللي حصل.. وإنت عارف الموضوع ده لو وصل للإعلام ممكن يعمل إيه في البلد». هز رئيس المباحث الجنائية رأسه مظهرا الاقتناع الكامل بما قاله رئيسه، ثم أضاف بعد زفرة عميقة: «خلاص يا فندم نمشيها انتحار»، والوزير شخط بعزم ما فيه وقال له: «نعم يا خويا، في عريس يروح يتقدم لواحدة وينتحر في بيت أبوها.. دي ما تتعملش حتى في مسلسل تركي.. ما عنديش مانع تخيب على آخر الزمن بس مش في قضية زي دي».

الوقت كان ضيقا بحيث لم تكن لدى رئيس المباحث الجنائية رفاهية التفكير في حل آخر، بمجرد وصول الخبر إلى أهل الشاب القتيل سيتسرب الخبر إلى الصحافة والإعلام، ومع بدء برامج الإثارة المسائية ستنقلب البلاد رأسا على عقب، أخذ نفسا عميقا وقال لرئيسه: «سيادة الوزير أنا بحكم الخبرة إتعلمت أن التفسيرات البسيطة التقليدية دايما بتكون هي الأصح والأكثر إقناعا.. الحياة ما بتجددش نفسها خالص.. الناس هتصدقنا لو قلنا إن سيادة اللواء رفض الشاب اللي إتقدم لبنته عشان مستواه الاجتماعي.. لا بلاش عشان هو لسه متخرج ومش لاقي شغل وقال للولد نصايح عن إنه لازم يكون مستقبله الأول بدل ما يتحمل مسئولية فتح بيت.. الواد كان مهزوز نفسيا ودي ممكن نطلّع بيها تقرير من دكتور نفساني كان بيتعالج عنده في نفس الحي اللي هو ساكن فيه.. مش معضلة خالص.. المهم الواد لما سمع الكلام ده حس بصدمة نفسية عنيفة سحب مسدس سيادة اللواء وضرب نفسه بالنار من شدة اليأس.. صدقني الحكاية منطقية جدا سعادتك».

الوزير وزن الكلام في دماغه سريعا، ثم قال مستحضرا روح ضابط المباحث القديم: «طيب مش هاقولك إزاي الواد ينشًّن المسدس على نص دماغه من غير ما سيادة اللوا يحاول يمنعه.. لأ السؤال الأهم هو إيه اللي كان مِشيِّل سيادة اللواء مسدس أصلا.. في حد يقابل الشاب اللي جاي يتقدم لبنته وهو شايل مسدسه الميري».

إذا كنت قد تمرغت في تراب الميري فأنت تعلم أنك في ظروف كهذه لا بد أن تظهر لرئيسك أن ما يطرحه وجيه للغاية حتى لو كان شديد البلاهة في نظرك، وهذا ما فعله رئيس المباحث المخضرم مظهرا تقديره للملاحظة واجتهاده في حلها قبل أن يقول لرئيسه: «تخيل يا فندم إن دي ملاحظة ممكن تبقى في صالحنا، الشاب أصلا جه من غير معاد عشان يقابل سيادة اللوا، بدليل إنه ما خدش حد من أهله معاه، استنى الباشا تحت البيت، ولما لقاه طالع من عربية الشغل دخل عليه الحرس حاولوا يمنعوه، قعد يزعق ويقول إنه عايز يقابل الباشا في موضوع شخصي، الباشا طلعه البيت وهو لابس البدلة الميري، وفوق حصل اللي حصل».

«تمام.. إعتمد وإحنا ونصيبنا»، قالها الوزير راضيا قبل أن يمد يده إلى سماعة التليفون لكي يزف لقائده الأعلى بشرى التوصل إلى سيناريو الحل، لكن جرس التليفون سبقه بالرنين. اعترى رئيس المباحث الجنائية قلق عميق أخذ يتصاعد كل لحظة وهو يرى رئيسه يقلب سماعة التليفون من أذن لأخرى وملامح الذهول تسود وجهه مغمغما بكلمات متناثرة: «إيه.. إزاي.. إمتى.. فين الكلام ده.. يا نهار أسود.. أنت أكيد بتهزر.. كام.. تلاتة مرة واحدة.. لا تلاتة إيه.. كده

يبقوا أربع حوادث.. يا نهار أسود.. بنفس التفاصيل.. لا ده تنظيم بقى.. الموضوع مش سهل.. بص بالراحة عليا كده وعيد كلامك من الأول عشان بس أقدر أستوعب.. قلت لي كام واحد منهم إتضرب بالنار.. واحد إتقتل.. كده بقوا إتنين مقتولين.. والتالت إتحدف من البلكونة.. والرابع أنقذوه قبل ما سيادة اللوا يخنقه.. ده إيه الحلاوة دي.. طب إقفل ما تسمعنيش أي مصايب تانية.. هات لي كل البلاغات اللي جت لك بسرعة وتعال لي عشان تديها بنفسك للسيد المساعد رئيس المباحث الجنائية يشتغل عليها».

أغلق الوزير السماعة بعد أن خبطها بالمكتب مرارا، ربما لكي يمنع نفسه من توجيهها إلى دماغه مباشرة، قبل أن يضرب كفا بكف وهو يندب حظه: «يا دي المصيبة السودة.. يا دي المصيبة السودة.. ده حظ إيه ده بس يارب.. وقال أنا اللي فاكر إني كنت هانقذ البلد.. هنحلها إزاي دي؟! هه؟! ده شغل تنظيمات دولية على كبير.. هنحلها إزاي المصايب دي دلوقتي.. ساكت ليه؟! ما تفهمني بدل ما أنت واقف زي الصنم كده؟».

توتر الموقف.. لم يخرج رئيس المباحث الجنائية عن إدراكه لأدبيات التعامل مع وزيره، فلم ينبهه إلى أنه لم يشرح له بعد طبيعة المصائب التي يتوقع منه حلها، بل قال بابتسامة واثقة: «هتتحل بإذن الله.. ما فيش مشكلة من غير حل.. حالا هتيجي لي البلاغات وهالاقي حل بإذن الله.. بس سيادتك إهدا يا فندم.. صحتك عندنا بالدنيا».

لـم يكـن رئيـس المباحـث الجنائيـة يعلـم أن ابتسـامته الواثقـة وكلماتـه المسـكونة بالطمأنينة ستجعله ملزما بأن يجـد حلا ناجعا يضعـه علـى مكتـب الوزيـر خلال ثـلاث سـاعات فقط، هـي التي تفصل بين السادسة مساء وقت توافد البلاغات على مكتب الوزير، والتاسـعة مساء موعد عرض أكبر برامج التوك شو التي قيل إن أحد مراسليها علم بإحدى وقائع القتل المريبة.

بعـد أن ألقـى نظرة سـريعة على البلاغـات المقدمة قال لرئيسـه بنبرات واثقة: «ما تقلقش سعادتك يا فندم.. لحسن الحظ إن الشاب اللـي أنقـذوه يقدر يتكلم ونفهـم منه إيه الموضـوع، وهل ليه علاقة بالتلاتة التانيين»، أفلتت منه الجملة الأخيرة ولذلك اسـتحق ما ناله من شتائم رئيسه أسقطها من ذاكرته محتفظا بجوهر اعتراضه: «طبعا ليه علاقة بيهـم.. ولازم يعترف بده ونعرف مين اللي زاققهم.. إياك حـد يقـول لي إن اللـي حصـل ده كان صدفة حتى لـو كان صدفة.. مفهـوم؟ قدامك تلات سـاعات يكون عندي تقريـر مبدئي.. وعلى ما تخلـص أنا طالـع على القيـادة المركزيـة هاقابل الأربـع لواءات أحـاول مع القيـادات نطلّع منهـم أي تفاصيل.. علـى الله حد فيهم يحكي لنا اللي حصل بالضبط».

كانـت القضيـة غرائبيـة للغايـة، لم يتصـادف أن مـر مثيلها على رئيـس المباحـث الجنائيـة، ولا حتى فـي الروايات البوليسـية التي يدمـن قراءتها والفرجة على الأفلام المأخـوذة عنها، ومع ذلك فقد كان حل لغزها أسهل مما تخيل، لم يستغرق بالضبط أكثر من نصف

ساعة قضاها رئيس المباحث الجنائية مع الشاب الناجي الذي حكى كل التفاصيل بمنتهى الفخر وضحكة عريضة تزين وجهه: الشباب الأربعة إتضح أنهم بالفعل رفاق في تنظيم واحد اتخذ لنفسه اسم «جبهة شرف العذارى»، والشاب الناجي الفخور بنفسه وبرفاقه القتلى أخرج من جيبه منشورا وُجِد في جيوب الثلاثة القتلى أيضا يشرح بالتفصيل ما اتفقوا على عمله، والأدهى أو قل والأنكى، أن بنات اللواءات الأربعة كن ضالعات فيما حدث، لأن كلا منهن كانت هي التي أبلغت أهلها بأن شابا يزاملها في الكلية سيأتي ليتقدم لها بشكل غير رسمي، كان الشباب الأربعة يعلمون أنهم قادمون على عمل فدائي قد تذهب أرواحهم بسببه، ولذلك فقد كانوا حريصين على أن يحكي المنشور كل تفصيلة سيقومون بها، وعلى رأس ذلك نص العبارات التي أدت إلى أن ينتفض اللواءات الأربعة غضبا لشرفهم، والتي كانت عبارات موحدة، اتفق الجميع على صيغتها بعد جلسات مطولة ليقول كل منهم ما نصه: «يافندم شرف عظيم ليا إن سيادتك توافق إني أجيب أهلي معايا المرة الجاية، بس ممكن قبل ما يبقى الموضوع رسمي أطلب من سيادتك حاجة مهمة، أعتقد أن سيادتك عارف قد إيه مهمة عشان يحصل نصيب، ممكن أكشف على عذرية بنت حضرتك. بس بشرط يبقى الدكتور من طرف عيلتي؟ أظن ده حقي يافندم وسيادتك عارف مابقاش في حاجة مضمونة في البلد».

عندما وضع رئيس المباحث الجنائية الملف النهائي أمام وزير الداخلية في ساعات الفجر الأولى، شرع الوزير على الفور في قراءة

ملخص الملف الذي تعوّد مساعدوه علـى أن يضعوه له في البداية توفيرا لوقته، كان وجهه يتزايد امتقاعا مع كل سطر، وفور أن انتهى وضع كفيه على رأسه منهزما أمام ثقل الرزية التي ابتلاه بها الدهر: «لا حول ولا قوة إلا بالله.. المصيبة أكبر من إننا نخبيها أو نتصرف فيها، كل اللي ممكن نعمله إننا نفكر إزاي ما تتكررش خامس مرة..»، على الفور مد رئيس المباحث الجنائية يده إلى الملف لكي يستخرج منه ثلاث ورقات مدها إلى رئيسه قائلا له بملامح تحاول أن تخفي فخرها بقدرته على التفكير المستقبلي.

نظر الوزير إلى الورقات ليقرأ عنوانها الذي كتبه رئيس المباحث الجنائية بيده «كشف بأسماء جميع القادة الذين يمتلكون بنتا في سن الزواج لتوفير حراسات أمنية ثابتة بشكل عاجل»، وعندما رفع الوزير رأسه مندهشا وجد مساعده يقول له بكل ثقة: «نحاول نمنع الحكاية من المنبع يا فندم.. ده اللي نقدر نعمله».

**نُشرت في صحيفة الشروق مارس ٢٠١٢**







عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

# سيرة الأم

كل الأبناء الذين تجاوزوا العشرين لديهم بالضرورة مشاكل مع أمهاتهم اللواتي تجاوزن الخمسين. لكن مشكلتي مع أمي كانت كعادة كل مشاكلي معها.. وكعادة أمي نفسها، فريدة من نوعها. كنت قد ذهبت لأستقبلها في المطار وهي قادمة من زيارة طويلة لأخي في الكويت، ظللت أنتظرها ساعات طويلة مذلولا بين يدي موظفات الاستعلامات العوانس وضباط المطار المكتئبين والنقص العادي للمعلومات العادية. أين يمكن أن تذهب أم كلمت ابنها من مطار الكويت قبل أن تركب فورا الطيارة المتجهة إلى مطار القاهرة؟ هل ركبت طائرة خطأ إلى دولة أخرى؟ هل هي محتجزة في مكاتب الأمن لتشابه اسمها مع اسم استشهادية ما؟ كل الاحتمالات فكرت فيها إلا أن يتصل بي الجيران ليقولوا لي إنهم ألفوها تجلس على بسطة سلم عمارتنا، ثم يضيفوا ضاحكين أنها دخلت لتتوضأ في شقة جاري الباشمهندس رأفت المسيحي وكادت تصلي العصر حاضرا في شقته لولا أنها رأت صورة الأنبا كيرلس تتوسط الصالة،

فقررت أن تصلي على بسطة السلم بعد أن تحججت أنها لا بد أن تنزل فورا لأنها لازم تعمل مكالمة دولية، قبل أن تعود بعد الصلاة إلى شقة رأفت. لم أستطع أن أرد على لوم رأفت وباقي الجيران لأنني تركت أمي «كده»، فلم أكن قد عرفت بعد أن سر توهتنا عن بعض في المطار أنها قررت أن ترتدي النقاب مؤخرا، لو قلت لهم ذلك لما صدقوني فقد رأوها سافرة الوجه «بس المرة دي الحاجة رادّة ما شاء الله»، عندما قالت لي ذلك وقد لمَّنا بيتي بحيطانه فوجئت بنفسي أسألها لماذا لم تبق عليه لأبقي على ماء وجهي أمام الجيران؟ «قلعته في التاكس أصل بصراحة الهوا كان حلو قوي وأنا كنت مخنوقة منك عشان ما جيتش تستقبلني قلت أخلي الهوا يطس في وشي بدل ما أعيط وأفضح نفسي». هممت أن أسألها لماذا تنقبت أصلا، لكنني تذكرت القلم الذي سكعته لي من كام شهر عندما قلت لها إنها لا بد أن تخلع الخمار أساسا لأنها صارت من القواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا. «قواعد في عينك.. ده أنا أصغر من نادية الجندي بييجي عشرين سنة».

سأفهم لماذا تتنقب أمي الآن عندما أفهم مثلا لماذا أقسمت بأغلظ الأيمان ألا تحضر فرحي، وقد كان.. فلم تحضره. «مش عايزه أنحسك يا ابني.. قلبي اتفتح للبنت دي بطريقة لا تتخيلها.. بادعي لها وربنا في كل سجدة.. مش عايزه قدمي السعد يوقف حالها».. أبكي بين يديها: «ياامّه عيب الكلام ده.. ده إنتي الخير والبركة».. «الكلام ده نقوله قدام الغريب يا وله».. « طب والله العظيم تلاتة ما أنا...».. «يمين بالله لا انت ابني ولا أعرفك لو

كملت.. وخد عندك بقى.. يا رب أطب ساكتة لو غضبت عليا أحضر الفرح». بعدها وكلما شهدت لحظة هناء بيني وبين زوجتي تنظر إليَّ نظرة ذات مغزى ثم في أقرب لحظة نختلي فيها سويا تقول لي بسعادة غامرة: «عشان تعرف إن أمك قلبها عليك.. مش لو كنت جيت الفرح كان زمانكو في محكمة الأسرة».

الذين استغربوا من الجيران أنني لم أحتضنها عند رؤيتها لن يفهموا أنني كلما لمستني أمي أندفع باكيا كأنني طفل حط صباعه في الكهرباء، ولذلك أنا وهي ومنذ أن كبرنا نسلم على بعضنا من بعيد لبعيد، ومع ذلك أبكي بعد لحظات من المقاومة وبكائي يجر بكاءها، وبكاؤها يجر حزنا ليس له من دون الله كاشفة، أقول لها ونحن ما بين بكاءين: «يا حاجة مش عارف أودي جمايلك فين على الميراث العظيم اللي سيبتيهولي»، تنظر إليَّ مرتابة ومترقبة موطن التريقة في كلامي، ثم تقول: «طبعا مش كفاية القرآن اللي حفظتهولك بس أنت فلاتي ضيعته وضيعت روحك في كلام الكتب الفارغ»، أقول لها: « أنا قصدي جرثومة الحزن اللي ورَّثتيها لي مش عارف أشكرك إزاي عليها». تنظر إليّ متفرسة كأنني خرجت حالا من رحمها ثم تضحك من قلبها ضحكا حقيقيا تختمه بنظرة إعجاب كأنني فرَّحت قلبها، قبل أن تقول وصفها الأثير لي: «إنت.. إنت مصيبة»، ثم تبكي من باب الاحتياط.

في الصالة أمعنت النظر في وجهها الذي كان صامدا حتى وقت قريب وما استطعت أن أمسك نفسي من أن أقول: «ملعون

أبو الدنيا»، وهي لم تأخذ بالها من مغزى لعنتي وقالت غاضبة: «في حديث صحيح عن سيدك النبي بيقول: «لا تسبوا الدهر»، أشاغبها قائلا: «عليه الصلاة والسلام، بس أنا بالعن الدنيا والدنيا غير الدهر»، تشتد غضباً: «في حديث صحيح بينهى عن الجدال»، فأقول لها: «ما فيش حديث صحيح بينهى عن الوقوف على الواحدة»، فتترك لي الصالة وهي تقول: «ملعون أبو شكلك».

# الشيخ العَيِّل!

أهـل البلاد كلهم اهتـزوا لمقتله المفاجئ، وشـعروا أنهم فقدوا واحدا من أبنائهم.

كان قـد تحول في وقت قياسـي إلى مفخرة لـكل مواطن، وبات دليـلا للعالم كله أن هذا الشـعب لن يفقد أبـدا عبقريته وقدرته على اجتـراح المعجـزات. لا أحد يذكـر الآن من الذي أطلـق عليه لقب «الطفـل المعجـزة»، ربما لأنه لم يكن يسـتحق لقبا غيـره، ولـم يكن غيره يستحق لقبا كهذا.

معجزته ببسـاطة كانت أنه نطـق قبل الأوان، قبـل الأوان بكثير. ليـس إلـى درجة الكلام فـي المهد طبعـا، وإلا لكان الأمـر قد أخذ أبعادا أخرى ولتسـبب في بلبلة دينيـة لا تحتاجها البلاد التي لا يهدأ فيها أوار الفتن الطائفية. على العكس تماما، فقد فرح به الوعاظ من الديانتين كثيرا وعمـوا به أحلى شـغل معتبرين أن كونه تكلم وعمره ستة أشهر فقط يشكل دليلا حاسما على قدرة الله التي لم يعد الناس يستحضرونها كثيرا.

عندما ظهر للمرة الأولى على الإطلاق في أشهر برامج التوك شو، وهو ينظر إلى كل ما تضعه المذيعة نصب عينيه ثم ينطق باسمه «موزة.. قلم.. كتاب.. منديل..قميص..كوباية مية»، ظنه الكثيرون طفلا «مقروضا» مسخوطا يخفي أهله عمره الحقيقي ويدَّعون أن نطقه بأسماء الأشياء معجزة، لكن فريق مُعِدّي البرنامج كانوا بارعين حقا عندما عرضوا على الهواء مباشرة شهادة ميلاده بحضور مندوب من السجل المدني يشتهر بالورع والتقوى، واستقدموا أشهر طبيب أطفال في البلاد لِيكشف عليه ويؤكد أنه يادويك تجاوز الستة أشهر، وأبوه انفعل وأخرج على الهواء مصحفا من جيبه وحلف عليه «يا رب ما يوعى يخرج من الاستوديو معانا لو كنا بنكدب»، والمذيعة نهرته وقالت: «بعد الشر..يا أخي مصدقينك»، قبل أن تعتذر للمشاهدين لأن ضغط المكالمات على الهواء أدى إلى تعطل خطوط التليفون الخاصة بالبرنامج، ثم قرأت بتأثر «إيميل» من مشاهد لم يكن رجلا بما فيه الكفاية لذكر اسمه على الإيميل الذي ادعى فيه أن البرنامج يمارس على المشاهدين خدعة بصرية دنيئة، وأن الطفل المعجزة ليس أكثر من دمية غالية الثمن تباع في أسواق أوربا، والمذيعة اضطرت من فرط حماسها لأن تطلب من والدي الطفل أن يُخَلِّعاه بلبوصا على الهواء، وجلس الملايين ينتظرون أن يقوم الطفل المعجزة بعمل «بيبي» على الهواء لتخرس الأفواه التي باتت من فرط يأسها تستكثر على هذه البلاد حتى المعجزات الطبيعية، وهو ما تأخر قليلا، لكنه تحقق في نهاية المطاف؛ وكان للناس ما أرادوه من طمأنينة.

في ظرف أيام كان الطفل المعجزة قد تحول إلى هوس وطني، بيته صار مزارا تقصده كل اللواتي تأخر خلفهن ليتباركن به، ويستحلف المرضى أباه أن يتركوه يضع يده على مواضع أمراضهم التي داخوا بها على الدكاترة، وفجأة لم يعد الناس يذكرون اسمه الذي سرعان ما تحول في وجدانهم الجمعي من «الطفل المعجزة» إلى «الشيخ العَيِّل»، وهو الاسم الذي سرى سريان النار في المخازن الحكومية، وكان سببا في أن يفتح الله على والديه ببركة الهدايا والعطيات والهبات والنفحات من الطامعين والطامحين والمقهورين أو حتى المحبين لله في الله دون أن يطلبوا شيئا سوى نَيْل البركة ولو من بعيد لبعيد، وفي خلال أيام معدودات تحولت العطفة الضيقة التي شهدت مولده من بقعة تعيسة الحظ عطنة الرائحة إلى أشهر حي في البلاد بأسرها، لا تنقطع عنها السيارات الفاخرة، لتمتد بركات الطفل الأسطوري إلى شباب الحتة العاطلين الذين تحولوا من تلقاء أنفسهم إلى مرشدين مدفوعي الأجر لعِلية القوم والمراسلين الأجانب ومذيعي الفضائيات ومن ثَمَّ لأفواج السياح الذين جاءوا على سيرته التي طبقت الآفاق.

وعندما جاءت الحكومة متأخرة كعادتها إلى العطفة ممثلة في محافظ العاصمة وأعضاء الحزب الحاكم عن الدائرة ولفيف من القيادات التنفيذية والشعبية، كان الشيخ العيل قد أتم شهره التاسع، وأبوه الذي لم يكن قد شاهد مسئولا حكوميا طيلة حياته وحياة الذين خلفوه، وطّى على أقدام القادمين يبوسها ويستحلفهم بالله ألا يأخذوا منه ابنه، بعد أن سرت شائعة فورية أن الحكومة قررت

أن تؤمم ابنه وتستخدمه في زيادة موارد الدولة، والحرس المرافق للسادة الزائرين غُلُب لإقناع الأب أن ينتصب واقفا حرصا على مظهر البلاد أمام كاميرات المحطات الأجنبية، والأب لم يستجب إلا بعد أن أقسم له المحافظ بشرفه إنه جاء مُكلّفا من حاكم البلاد لتهنئته واصطحاب ابنه في مساء اليوم نفسه إلى قصر الحاكم لكي يعلن عن صرف معاش استثنائي له سيستلمه الطفل بنفسه من جلالة الحاكم في احتفال ضخم سيذاع على الهواء مباشرة في كافة القنوات التي ستنضم إلى فترة إرسال موحد لنقل الأحداث، والأب الذي كان قد وقف يا دوبك على حيله، عاد من جديد ليوطي على قدمي المحافظ بائسا و«بايسا»، لأن من لا يشكر سيد الناس لا يشكر خالق الناس.

وبعد أن انفض الجمع الصاخب ليتركوا للأبوين تهيئة طفلهما للقاء التاريخي الذي سيحل بعد ساعات، حاول الأب أن يتلم على روحه ويدرك حجم ما ناله من السعد والوعد، في حين بدأت الأم تمارس طقوس الرقية الشرعية اليومية لابنها لعل الله يحفظه من عيون الجارات والخالات وكل بنات الحلال والحرام اللواتي لا تلتصق الصلاة على النبي بألسنتهن على الدوام، وفجأة أطلت صورة الحاكم في التلفاز الجديد الضخم الذي أكل نصف الصالة، ليأخذ الأب ابنه بفرحة تلقائية ويقرّبه إلى الشاشة لكي يدربه على نطقَ اسم سيادته، لكن الأب تجمد أمام الشاشة عندما هتف الشيخ العيل من تلقاء نفسه: «ظالم.. فاسد.. حرامي.. متخلف». ظن الأب أن شيئا ما أصاب ابنه وتداخل مع جهاز الإرسال الرباني

الـذي وضعه الله في مخه وأوصله بلسـانه، فجرب إطفاء التلفزيون ثم تشغيله ثانية، لينطلق ابنه هاتفا من جديد فور رؤيته لطلعة الحاكم «ظالـم.. فاسـد.. حرامـي.. متخلف»، وما هـي إلا دقائق حتى كان الأب يلطـم بـكل قوتـه على خـدود الأم بعد أن جابت خـدوده دما مـن كثرة اللطم على حظه الأغبر الـذي لا يملك له دفعا ولا صرفا، والذي سيسـلبه بعد سـاعات فلـذة كبده ومصـدر رزقه ونبـع هنائه الذي كان يأمل أن يتدفق إلى الأبد.

في صباح اليوم التالي، وبينما كانت نشرات الأخبار تنقل مقاطع مـن خطـاب حاكم البـلاد الـذي ألقاه مسـاء الأمـس معلنـا الحزن القومـي على الرحيل القدري المفاجـئ لطفل البلاد المعجزة الذي حبـا الله به أرض الوطن، كان الشـيخ العيل يجلس مختبئا في جرن بيـت أقاربه في الجنوب الجواني وهـو يردد بصوت جهوري يغطي على صوت حاكم البلاد: «ظالم.. فاسد.. حرامي.. متخلف».

**نُشرت في صحيفة المصري اليوم/ ٢٠٠٩**

عصير الكتب
Facebook.com/groups/Book.juice

# تذكرت صنفر!

كلما قرأت عن واقعة تحرش جديدة من التي باتت تغص بها صحف الصباح تذكرت صنفر. وما أطيب أن تتذكر صنفر على غيار الريق.

كان صنفر واحدا من البلطجية المشار إليهم بالبنان وأحيانا بالوسطى في أحياء إسكندرية الثمانينيات. الناس أطلقوا عليه صنفر لأنه أصيب في بنيته التحتية بنوع نادر من الجرب لم يخلصه منه إلا نصيحة خبير بأن يدعك نفسه بورق الصنفرة، والعلاج نجح لكنه أصابه بذلك اللقب الذي حاول أن يقاومه ففشل؛ ولذا قرر أن يقاوم الأسطورة بالأسطورة فيدعي أنه دعك منافسا له ذات مرة بورق الصنفرة حتى ذاب جلده وأصبح على اللحم فعلا لا مجازا.

حوى صنفر كل ألوان العبر لكنه ظل يتيه فخرا على سائر البلطجية أنه عمره ما مد إيده أو لسانه على بنت من بنات حتته وكافة الحتت التي خدم فيها. وفي ذلك يروون واقعة أسطورية لا يدري أحد متى حدثت إذا كانت فعلا قد حدثت.

مرة عادت بنت اسمها مهجة إلى الحتة معيطة لأن راكبا ابن حرام في الترام جلس على حجرها، ولما صوّتت ادعى أنه كان مرهقا وافتكرها الكنبة الورانية، الحق يقال حجم مهجة يقارب الكنبة التي يمكن فَتْحها سريرًا، لكن ذلك لم يكن مبررا كافيا لصنفر لكي يتجاوز عن تلك الفعلة الشنعاء، من توِّه جرى إلى الصيدلية ليغطس فيها ثواني قزح بعدها على شريط الترام القادم من ميدان محطة مصر، فوقف عليه مبلبعا شريط حبوب غامضة أخذها لا ريب من الأجزجي، كان الشرر يطق من عينيه فيهوّن إلى جواره شرر سلك الترام، وعندما اقترب منه أول ترام ظل يصدر إشارات تنبيه فشلت في زحزحة صنفر عن موضعه، فتوقف السائق مرغما، ليكون توقفه إشارة البدء لصنفر لكي يشرع في خلع ملابسه قطعة قطعة، ثم يخرج موسًا حاميا من زواريق فمه ويبدأ في إعطاء درس تشريح مجاني للمارة معملا الموسى في جسده الذي لم يكن به موضع إلا وبه غزة من مطواة أو طعنة من سنجة أو أكلة من سافوريا، هاتفا بين كل تشريحة وأخرى: «يا ولاد الـ... والنعمة لا كون موقّفك على رِجْل ومقعدك على حجري يا إسكندرية يا بنت الـ...».

لا يهديك أفلحت معه ولا يرضيك ولا حتى يشيل ويحط فيك. الذين تحاوروا معه من على بُعد مناسب، نقلوا لسائق الترام وراكبيه، راكبي الترام طبعا، شرط صنفر العجيب للتزحزح عن موضعه، وهو أن ينزل كل من في الترام لكي يجلس لثوانٍ على حجر صنفر ثم يفسح المكان لغيره، رفض الناس بإباء وشمم، لكنهم مع انعدام الأمل في وصول البوليس بدءوا يتفاوضون لتقليل العدد المطلوب

جلوسه على حجر صنفر إلى ثلاثة أشخاص جرى انتخابهم من بين ركاب الترام مالك وكتابة بعد استبعاد النساء والأطفال وسائق الترام والكمساري، جلس الثلاثة وعبر الترام ورفع صنفر رأس مهجة كما تقول الحكاية التي تحولت إلى أسطورة لا تهم مصداقيتها بقدر ما يهم أخذ العظة منها.

صمدت الحكاية على مر الأيام لكن صنفر نفسه لم يصمد، بل انتهى نهاية مأساوية لا تليق ببطل تراجيدي مثله، مرة انتابه ضعف إنساني جعله يعرض على ابن لواحظ بتاعة الكبدة أن يصطحبه إلى ما وراء غيط العنب لكي «يوريه» القطر، الولد لم يكن مهتما بميكانيكا المركبات، لذلك أطلع أمه على عرض صنفر، والأم عقلها راح لبعيد، لما هو أبعد من غيط العنب وقضيب القطر، فاقتحمت على صنفر خلوته في القهوة حيث كان يبلع شريط إسبراكس ويمنّي النفس بما هو آت، دون أن يعلم أن قبقاب أم الصبي سيكون أقرب إليه من الصبي، حبوب الإسبراكس ساعدت صنفر على أن يظل طيلة فترة ضربه متسلحا بابتسامة فيلسوف وصل إلى النيرفانا لتوه مكتفيا بقوله: «مش صنفر اللي يمد إيده على واحدة ست»، وهي تناوله بقبقابها وقولها: «يا واطي لما ليك شوق في حاجة ما نسوان الحتة متلقحين قدامك.. إنما تبوظ لي الوله اللي حيلتي.. ده أنا عايناه للزمن.. عماله أعلف فيه عشان يطلع ظابط.. وتيجي إنت تضيع مستقبله».

الناس من بشاعة الاتهام ظلوا سويسريين على الحياد، وتركوا صنفر يواجه مصيره المظلم، وأم الوله اللي المفروض يبقى ظابط

لـم تتركه إلا بعد أن انكسـر القبقـاب في يدها فعورهـا لتتوقف عن الضـرب مضطرة، ومكتفية بالبصق على صنفـر والركل فيه، قبل أن تستجيب لنصيحة أهل الحل والعقد بأن ترجع مسرعة إلى بيتها قبل أن يكبس البوليس وتروح في داهية عشـان كلب من قوم لوط. ولما رحلـت لواحظ إلى كبدتها تحلّق القوم حـول صنفر فهالهم منظره، وظنـوا أنـه ينازع في الروح، صعب عليهم فسـألوه: «نفسـك في إيه يا صنفر؟»، وهو لـم يقل سـوى جملـة واحدة ظل يكررها حتى راح مغشيا عليه: «نفسي ربنا يمد في عمري عشان أبوظ لها الوله».

# عزت بتاع الألعاب!

الخطوة نصيب، بدليل أنني على مدى خمستاشر سنة ظللت أمر بمحله فلا أدخله، وها أنا أدخله اليوم دون ميعاد.

لماذا قررت أن أدخل محله اليوم فقط، وأنا الذي كنت أجلس طيلة سنوات البطالة على القهوة المواجهة لمحله، محدقا لساعات في فاتريته غريبة الأطوار، دون أن أفكر ولو لمرة في دخول محله ولو من باب قتل الفراغ؟ ربما لأن العيد كان قد كبس عليّ دون أن أشتري لعبة لابنتي، وربما لأنني «كسّلت» أن أذهب للبحث عن محل آخر في وقت متأخر كهذا من ليلة العيد.

عندما عبرت الشارع متجها إليه فاجأني خلو فاتريته من محتوياتها المتناقضة التي جعلت هوية المحل مشوشة لنا طيلة الوقت، تذكرت كيف ظللت أتعامل معه لسنوات على أنه محل خردوات لا يستحق الالتفات إليه، حتى قام ذات يوم بتعليق ذلك الإعلان العجيب الذي لفت انتباهنا إليه «إعلان هام. يوجد قطار

يمشي أمام وخلف وستوب ويعطي صوت القطار ويمشي على السجاد والموكيت والأرض بدون قضبان ويعمل بستة حجارة طورش ويحمل طفلًا وزنه ٢٥ كيلوجرامًا من سن سنة إلى سبع سنوات». وقفت أنظر بحنين إلى الإعلان الذي لا زال برغم مرور السنين صامدا في الفاترينة الخاوية، وأنا أتذكر الأوقات التي قضيتها أنا وأصدقائي العاطلين عن العمل والأمل على كراسي القهوة المجاورة للفاترينة ونحن نقوم بتسميع الإعلان وتحليل مضمونه جادين ذات مرة وهازلين مرات ومرات.

«اتفضل يا باشا» أخرَجَني من أفكاري صوته الخارج من بين الماسكات التي يفترض هو أنها مرعبة، والتي علقها على باب المحل فحجبته تماما فيما يتصور أنه وسيلة مبتكرة للدعاية، لكن إزاحتي لها لأدخل إلى عمق المحل كشف لي أنها وسيلة لتغطية قبح المحل الذي تحول إلى كهف مزدحم بالكراكيب التي بدا وهو يقف خلفها كهارب من الأيام والضرائب.

روح المكان المقبضة دفعتني لأن لا أطيل زمن الاختيار وأن أشير مباشرة إلى بطة صينية صفراء تبيض إذا وضعت فيها ثلاثة حجارة قلم، «هاخد دي ياريس»، بدأ في تركيب الحجارة قائلا بابتسامة دحلابة: «على راحتك بس إيه رأيك تاخد القطر ده»، مشيرا إلى مجموعة من كراتين القطار الذي كان محفوظا في ذاكرتي بشكل أفضل من حفظه له في محله، عاجلت بقمعه: «عندي واحد زيه»، نظر إليَّ بدهشة: «معقولة؟ جبته منين؟ أنا مش فاكر إنك دخلت

عندي قبل كده»، قلت ساخرا: «هو إنت بتفتكر كل زباينك؟»، فرد بثقة: «واحد واحد»، قلت له لكي أنهي النقاش في الموضوع: «فعلا أنا أول مرة آجي لك بس هو جالي هدية من كام سنة»، فرد وكأنه يتحدث عن قطار بخاري نادر: «آه إذا كان كده معلهش.. أصل النوع ده استحالة تلاقيه عند حد غيري».

من خلف الأقنعة أطل وجها اثنين من عساكر الأمن المركزي دخلا بموبايل انقطع شحنه ليسألاه عن «شاحن سلف»، قال لهما بود شديد: «روحوا لبتاع الموبايلات اللي جنبي ولو مالقيتوش عنده ارجعوا وهاتصرف لكو»، ثم عاد لتركيب حجارة البطة، لمحني أنظر إلى العارضة المعدنية المعلقة في فضاء المحل والمحمَّلة بأكياس محا الغبار ملامحها، فقال محرجا: «معلهش علقتها كده عشان كنت باغير البلاط، كسلت أوديها المخزن قلت أعلقها كده عشان الصنايعية ما يسرقوهاش.. بعد ما خلصوا كسلت أرجعها الفاترينة.. أصل عندي بنت في ثانوية عامة وواد دخل الجيش.. الموضوع ده رابكني خالص»، دخل رجل مكفهر السحنة ليطلب فكة خمسين، فأحاله بجدية إلى بتاع المقلة المجاورة مردفا: «لو ما لقيتش ارجع لي هاتصرف لك»، والرجل رمقه بنظرة استغراب وخرج، بعدها عاد الجنديان ليُطمئناه أنهما استلفا الشاحن ثم سألاه عن سعر قناع مرعب، وعندما قال لهما إنه «بتلاتين جنيه» صُدما بشدة، فقال لهما بهدوء: «طيب اتصرفوا في عشرين جنيه وتعالوا»، ثم مال عليّ وقال شارحا: «أصلهم ما بيشوفوش الحاجات دي في بلادهم وعشان كده بينبهروا بيها».

بدا أن هناك كسرا في أسفل البطة يجعلها تتحرك دون أن تبيض كما يُفترض لها ومنها، طمأنني مداعبا: «ما تخافش هاصلحها لك.. لعلمك البطة دي لذيذة وهتملا لك البيت بيض.. أنا ما باجيبش لعبة إلا لما أنبسط بيها الأول وإلا ما أجيبهاش»، أخذ مفكا وبدأ يحاول إصلاحها، وهو يحكي عن بنته الحنينة وولده المقرف، وشقته التي قفلها وأخذ شقة أكبر، وكلما دخل أحد ليسأله عن شيء خرج بدون ذلك الشيء ولكن مع وعد يبدو جادا بأن يتصرف له إذا عاد، بعد «ييجي نص ساعة» بدا أنه فشل في التصرف مع البطة، فقال بتسليم: «معلهش لو نسيت حكاية البيض هاعمل لك خصم بس خدها والنبي»، كانت لهجته الودودة عصية على المقاومة، لكنني وجدت الفرصة مواتية لأسأل: «هو ليه كل ما حد ييجي لك تقول له هاتصرف لك، ليه ما تقولوش ما عنديش؟!»، صمت قليلا ثم قال وهو يضحك بمرارة: «معلهش يا بني.. دي عادة ومش عارف أبطلها، متهيأ لي لما عزرائيل هييجي عشان ياخد أجلي، هاقول له روح لبتاع المقلة، ولو ما لقيتوش ارجع لي وهاتصرف لك». ورحنا في ضحك عميق، لم يمنعني من النظر إلى الفاترينة الخالية بشجن لو تركت له العنان لسالت دموعي وأغرقت البطة التي لا تبيض.

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

# الجنرال عاريا!

يومها، كاد المسئول عن تصوير خطابات الجنرال أن يفقد حياته، لولا أن الله كان رحيما به.

الآن، وبعد أن جرى ما جرى، يحمد كبير الياوران الله ويبتهل إليه شكرا، لأنه تمسك بالعادة التي جرت على أن يقوم فخامة الجنرال ببروفات مكثفة على أي خطاب جماهيري قبل أن يلقيه، حرصا على ألا يشمت الكارهون والمعارضون بأخطائه اللغوية وإلقائه المتعثر. يقول كبير الياوران لنفسه عندما يتذكر ما حدث: «فلنحمد الله على جهل فخامته، فلو كان طليق اللسان فصيح الإلقاء لكانت فضيحة تهون إلى جوارها الفضائح ذوات الجلاجل، ولفقدت على إثرها حياتي».

«يلّا هنبتدي التيست.. إبتدي سيادتك يا فندم».

وسيادته بدأ طقسه في «تكسير الخطاب على لسانه» طبقا لتعبيره المفضل الذي يخفي به حرجه مما يقوم به من تكسير لعظام كل

القواعد اللغوية التي وضعها علماء النحو والصرف، متوقفا كل لحظة لكي يستمع إلى ملاحظة يلقيها عليه عميد كبرى كليات اللغة العربية في البلاد الذي تم انتدابه خصيصا لملازمة الجنرال طيلة يوم إلقاء الخطاب، والذي فكر فور بدئه لعمله أن يكسب في لغة البلاد الرسمية ثوابا فيشرح للجنرال بعضا من قواعد النحو والصرف، لكن محاولته انتحرت على أعتاب دعابة قالها له الجنرال: «قواعد إيه يا دكترة.. هي كانت قواعد عسكرية يعني.. يا أخي كبر مخك».

فيما كان الجنرال يُكَسِّر خطابه المقبل، كان العمل في الاستوديو التلفزيوني الكائن بقصر القيادة يسير على قدم وساق، فنيو الصوت يتنهزون الفرصة لإجراء الاستعدادات الملازمة لتضبط صوت سيادته لكي يصل إلى آذان الناس على خير ما يرام، بينما بدأ فنيو الإضاءة يضبطون لمبات الإضاءة المسلطة على منصة الإلقاء التي وقف الجنرال خلفها لكي يدخل في «المود» الملائم لإلقاء الخطاب الذي تنتظر البلاد إذاعته في تمام التاسعة مساء.

وفجأة حدث ما حدث.

في البداية، لم يستوعب كبير ياوران الجنرال الأمر عندما جاء إليه المسئول عن التصوير وهو يرتعش هلعا ويقول له بوجه يكسوه الشحوب: «يا فندم إني أرى الجنرال عاريا».

«نعم يا روح أمك»؛ كان أول ما قاله كبير الياوران لمدير التصوير الذي كان أستاذا رفيع المقام في معهد السينما، لكنه لم يتوقف طويلا عند تلك الإهانة فقد كان حسه الوطني يتطلب منه في تلك

اللحظة أن يضع كرامته تحت حذاء كبير الياوران لكي ينقذ ما يمكن إنقاذه. بمنتهى الهدوء طلب من كبير الياوران أن يصحبه إلى حيث تتموضع الكاميرات لكي يلقي نظرة على ما يريد أن يوصله له «لأني مش هاعرف أعبر لسيادتك عن اللي أنا شايفه أبدا».

صوت اللطمة التي لطمها كبير الياوران على خديه كان قويا بحيث استلفت انتباه الجنرال، وهو أمر لم يكن كبير الياوران يتمناه، لكنه اتضح أنه كان لازما لكي يضع الجنرال سريعا في حقيقة ما يحدث، فالوقت لا يحتمل أي تأخير في إذاعة الخطاب الذي تمت كتابته على عجل لإنقاذ البلاد من أزمة سياسية حادة تتهددها بعد أن خرج آلاف الشباب المعارضين إلى الشوارع مطالبين بإسقاط حكم الجنرال وتقديمه للمحاكمة بعد أن قام جنوده بإطلاق النار على عدد من الشباب والفتيات المعتصمين في أكبر ميادين البلاد قبل أن يقوموا بسحل الذين لم يهربوا من سيل الطلقات المنهمر، وضربهم ضربا مبرحا وتجريد بعض المعتصمات من ملابسهن أثناء سحلهن على الأسفلت؛ وهي مشاهد التقطتها عدسات المصورين لتُنشر في صدر الصفحات الأولى للصحف العالمية وتذاع في كافة نشرات الأخبار حول العالم، وتثير انتقادات دولية حادة قابلها الجنرال ببرود أعصاب لدرجة أنه قال لعدد من القادة العالميين الذين اتصلوا به محتجين إن كل ما رأوه عار تماما عن الصحة، وإن كل الفيديوهات التي تناقلتها وكالات الأنباء ومواقع الإنترنت مفبركة ومصنوعة من قِبل معارضيه بتقنية الفوتوشوب. كبرى الصحف الأمريكية أخذت على صدر صفحتها الأولى عنوانا رئيسيا يقول

بالإنجليزية: «الجنرال: كله فوتوشوب»؛ ناسبة ذلك التصريح إلى الجنرال على عهدة مسئول دولي كبير التقى به محاولا الحصول على تفسير لما حدث.

كل الأفكار التي كانت تتدافع في عقل كبير الياوران طارت إثر سقوط كوب زجاجي إلى جواره، قذفه به الجنرال قبل أن يقول له غاضبا:

- «بتلطم ليه يا زفت أنت؟ في راجل شحط كده يلطم على خدوده؟».

- «مافيش سيادتك.. هو موضوع محرج شوية».

- «إحنا هنهزر.. ماتتكلم.. مافيش ستات واقفين.. إيه عملتها على روحك وأنت قاعد؟».

- «يا فندم أنا آسف بس الظاهر إن في مشكلة هتخلينا نأخر إذاعة الخطاب شوية».

- «إيه يعني عشان الكام غلطة اللي في العربي دول؟ في داهية العربي يعني.. لا مؤاخذة يا دكتور».

- «طبعا يا فندم.. عربي إيه بس.. المهم ننقذ البلد».

- «وهي هتروح فين البلد يعني.. أنت كمان هتكبر المواضيع يا دكتور.. ما هي قاعدة البلد أهيه.. في إيه يا زفت؟ هو أنت كل ما هتبص في الكاميرا هتلطم!».

لـم يجـرؤ كبيـر اليـاوران علـى أن يشـرح للجنـرال مـا رآه أمام الحضـور حتـى وإن كانوا جميعا من أهل الثقـة والخبرة معا؛ لذلك اختلى بفخامته جانبا، وهو يعلم أن مهمته ستكون صعبة للغاية، لأن الجنرال عود رجاله دائما على ألا يقتنع إلا بما يراه بأم عينيه.

علا صوت الجنرال مجددا في فضاء الاستوديو:

«يعنـي إيه عريان يـا حمار؟ مانا لابس أهوه البدلة ومش سـايب ولا نيشان في البيت.. جايبهم كلهم أهوه قدامك».

اضطر المسـئول عـن التصوير لكي يتدخل لإنقـاذ كبير الياوران من غضب الجنرال، بعد أن رأى الجنرال خلال انفعاله يمد يده أكثر من مرة لكي يتحسس مسدسه الذي لم يكن لحسن الحظ معلقا في جرابه. أخذ خطوات إلى الأمام ملتصقا بأذن كبير الياوران:

«أنـا باقـول نفـرَّج فخامتـه علـى المونيتـور عشـان يشـوف بنفسه ويتأكد».

لـو كان الوقت يحتمل لمد كبير اليـاوران يده إلى جرابه وأخرج مسدسه وأطلق النار على المسئول عن التصوير لكي يقتله لأنه جرؤ على التدخل في عمله بهذا الشكل المهين، لكنه تراجع عندما تذكر أن رقبتـه نفسـها مهددة بالطيـران إذا لـم يقتنع الجنـرال بما يحاول أن يشـرح لـه، وعلى الفـور أمر بإخلاء الاسـتوديو مـن كل من فيه، حتـى إنـه طلب من المسـئول عـن التصويـر ومصوريه الذين سـبق لهـم أن شـاهدوا الأمر بأعينهـم أن يضبطوا وضـع المونيتور بحيث

لا يراه سوى الجنرال وهو يقف خلف منصة الخطابة، بل وطلب منهم زيادة في الاحتياط أن يخرجوا فور تشغيل الكاميرات وهم يطأطئون رءوسهم في الأرض لكي لا يروا أي انفعالات تظهر على وجه الجنرال؛ فانفعالات الجنرال ملك له وحده لا يصح أن يشاركه فيها أحد.

عاد صوت الجنرال ليدوِّي من جديد:

- «يا نهار إسود، دي مؤامرة، اعتقل كل الكلاب اللي بره دول واضربهم بالنار».

- «هيحصل يا فندم بس مش لما نفهم إزاي ده حصل أصلا».

- «يعني هيكون حصل إزاي يا غبي، إيه الجهل ده!! أكيد الكلاب دول حاطين حاجة في عدسات الكاميرات، اعدموهم فورا وبعدين الكاميرات دي تتكسر وتتغير عدساتها وهتشتغل عادي».

- «بس هو يعني سعادتك هما لو كلهم متآمرين ما كانوش قالوا لنا على اللي شافوه، كانوا استنوا لغاية ما نطلع على الهوا.. إحنا هنحقق معاهم ونشوف مين فيهم اللي ورا المؤامرة دي.. لغاية ما يدلنا على مكان الحاجة اللي زرعها في العدسات».

«في دي عندك حق يا حيوان.. بس برضه بعد ما تخلصوهم اعدموهم عشان مايحكوش اللي حصل لحد».

- «في دي عندك حق يا فندم.. إحنا بس عشان الوقت هنتعب

سيادتك معانا في مشوار دلوقتي حالا لحد استوديوهات الإذاعة والتلفزيون عشان هنضطر نذيع الخطاب من هناك.. مافيش وقت طويل قدامنا».

في داخله كان كبير الياوران يؤمن طيلة حياته بضرورة أن يصدق حدسه دائما وأبدا، وحدسه كان ينبئه أن ما حدث في استوديو القيادة يمكن أن يتكرر في استوديوهات التلفزيون؛ ولذلك أصر على أن يذهب الجنرال إلى هناك مبكرا.

على الفور تم إخلاء الطرق المؤدية إلى مبنى التلفزيون ليصل إليه الجنرال سريعا، وفور وصوله تم إدخاله من نفق أرضي يستخدم في حالة الطوارئ لتأمين المبنى من الانقلابات العسكرية والهبّات الشعبية، فيما كانت قوات مدربة قد سبقت قدوم الجنرال وأخلت الاستوديو الرئيسي في المبنى من كل الموظفين والعمال والفنيين، ليتم اختيار عدد محدود منهم من واقع ملفاتهم التي تم مراجعتها سريعا من قِبل المختصين في الأجهزة الأمنية الرفيعة.

في ذلك الوقت كانت تحقيقات مكثفة تُجرى مع كل العاملين في استوديو قصر القيادة، خاصة بعد أن كشفت تقارير أمنية عن مفاجأة مدوية تم التوصل إليها خلال تفريغ لتسجيل كاميرا دورة المياه التي كشفت أن المسئول عن التصوير بذاته صدرت منه قبل يوم، خلال وقوفه أمام المبولة إلى جوار أحد زملائه تعليقات ساخرة من حديث الجنرال حول فبركة شرائط الانتهاكات.

جاء في التفريغ الحرفي الذي تم إملاؤه على كبير الياوران أن المسئول عن الإضاءة قال بالحرف الواحد: «يا أخي تصدق الفوتوشوب اتبهدل في البلد دي.. ده أنا ليا واحد صاحبي اسمه أحمد قاسم شغال في السيما.. واد خبرة في الجرافيك يمكن من أشطر الناس في مصر كلها ويمكن في العالم قال لي بعد ما سمع الكلام ده إنت عارف لو اللي اخترعوا برنامج الفوتوشوب سمعوا الكلام اللي بيتقال عنه كانوا ولعوا فيه وهما بيعملوه.. ده عشان الواحد يعمل كل ده جرافيك محتاج يقعد تلات شهور بالميت على مكن ابن لذين وبإمكانيات بنت كلب.. حكاية الفوتوشوب دي ممكن تتعمل في وقت قصير بس لحاجات سهلة.. إنما مستحيل تعمل كل الناس دي فوتوشوب.. الناس دي بتستعبط علينا جامد»، هكذا قال مسئول التصوير لزميله الذي كان أكثر منه حصافة ووعيا، حيث قام بمغادرة المبولة على عجل وهو يقول: «والله كلها فتنة ربنا ينجينا منها.. أستغفر الله العظيم خليتني أقول اسم ربنا في مكان زي ده ربنا يسامحك يا أخي».

المحققون بعد أن سمعوا ما سمعوه توصلوا إلى استنتاج نهائي أن ما قام به المسئول عن التصوير من إبلاغ عن واقعة عري الجنرال لم يكن سوى محاولة متأخرة لإخلاء مسئوليته عما كان مخططا له أن يحدث، وبدءوا في التركيز على إقناعه بأن إخفاء أسماء شركائه لن يفيده، وعندما فشلت كل محاولاتهم في إقناعه بالحسنى وقبل أن يلجئوا أخيرا إلى التعذيب البدني الذي كان كفيلا بجعله يفارق

الحياة بوصفه مريضا بعدد من الأمراض المزمنة، نزلت عدالة السماء لتنقذه بعد أن تلقوا مكالمة عاجلة من كبير الياوران تطلب أن يتم إحضاره على الفور إلى ماسبيرو، نفذ المحققون الأمر مستغربين، بعد أن لبّوا طلبا حاسما للمسئول عن الإضاءة الذي قال إنه لن يتحرك من مكانه إلا بعد إحضار «غيار نضيف وبنطلون جديد».

لم يكن مسئول التصوير وهو يرتدي الغيار والبنطلون الذي تبرع بهما له أحد المحققين يعلم أن العبارات الساخرة التي قالها غافلا في المبولة ستنقذ حياته، ولم يكن يعلم أيضا أن ما حدث للجنرال من عري على شاشة الكاميرات في استوديو القيادة تكرر بحذافيره في كاميرات استوديو الإذاعة والتلفزيون الرئيسي، بل وفي كاميرات ثلاثة استوديوهات متفاوتة الحجم في المبنى، قبل أن يتوقف نقل الجنرال من استوديو لآخر بعد أن هدد بإطلاق النار على من يطلب منه أن يتحرك شبرا واحدا إلى استوديو جديد.

كانت الأزمة قد استحكمت وضاقت حلقاتها، ذكَّر كبار رجال الجنرال بعضهم البعض بأنه لو كان ثمة وقت للجئوا ربما إلى خبرات أجنبية صديقة من دول تمتلك باعا طويلا في مجال تقنيات التصوير، حتى لو اضطروا للإعلان عن تأجيل موعد إلقاء الخطاب بكل ما يستتبعه ذلك من تعقيدات سياسية، لكن ذلك الاقتراح تم نسفه كلية بعد أن اعترضت جهات رفيعة عليه مذكِّرة بالتعقيدات السياسية التي يمكن أن يسببها تسرب الخبر إلى الدول الأجنبية التي لا يمكن حتى لو كانت صديقة أن تؤتمن على تفاصيل حرجة مثل هذه.

كان الـكل في حالة يرثى لها من التوتـر والارتباك بحيث لم يعد أي من كبار المسئولين قادرا على أن ينظم تفكيره بحيث يحصره في مسار وحيد هو البحث عن حل للأزمة؛ ففي كل لحظة كانت تتبدى تفصيلة جديدة حول التداعيات التي يمكن أن يحدثها إلغاء الخطاب أو تأجيلـه، وكيـف يمكن أن يُفهـم ذلك كتراجع خطيـر أمام القوى الشـابة المتمردة التـي كانت كل دقيقة تأخير تمنحهـا فرصة إضافية لتنظيـم صفوفها وحشـد مؤيدين جدد تستفزهم صـور الانتهاكات الصادمة التي يتناقلونها عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

كبيـر الياوران كان يصدق أيضـا أنه برغم كل ما ارتكبه من مخازٍ سـيظل دائما محميا ببركة دعـاء والدته التي كان بـارا بها، ولم يكن يتأخر عنها لحظة واحدة، وجعلها ترى خلال سـنوات عِزِّه القيادي عـزا لم تره أمٌّ على وجه الأرض؛ ولذلك نذر على نفسـه أن يجعلها تقضي شـهرا كاملا في أفخم فنادق المدينـة المنورة إذا عبرت تلك المحنـة؛ لأن دعواتهـا كانـت بالتأكيـد سـببا فـي ذلك الحـل الذي تفتـق عنه ذهنه، وجعله يسـتدعي فورا المسئول عـن التصوير على مـلا وجهه إلـى مبنى التلفزيون في سـرية تامة، ليختلـي به في غرفة اختارها عشـوائيا ليتأكد من خلوها من أجهزة المراقبة ويدور بينهما حديـث طويل لـم يعرف أحد مـا دار فيه، لكن ما يعرفـه الجميع أن كبيـر اليـاوران خـرج من الغرفـة يتملكه إحسـاس بالظفـر، ليجري مسـرعا إلـى حيـث كان الجنـرال يجلس فـي مكتب رئيس المبنى

منهالًا باللعنات والشتائم على الجميع، وليقتحم على رئيسه خلوته الغاضبة قائلا بفرحة عارمة أثارت دهشة الجنرال:

«خلاص يا فندم، فُرِجت والحمد لله، هنسجل الخطاب حالا يا فندم بس هنضطر نذيعه بعد تلات ساعات من دلوقتي بعد ما نعمل شوية عمليات فنية هاشرحها لحضرتك.. هننزل خبر عاجل دلوقتي يقول المعاد الجديد للناس عشان نقطع ألسنة الشائعات وهنسرب كلام إن في مفاجأة سياسية كبيرة حضرتك هتعلنها يا فندم.. ما تقلقش خالص سيادتك.. وراك رجالة يا فندم».

بعد ثلاث ساعات كان المسئول عن التصوير في الاستوديو القيادي يجلس في غرفة معيشة بيته إلى جوار زوجته وابنه الوحيد وهو يحتضنهما بحب غامر بدا لهما غريب الأطوار قليلا، كان الجميع يتفرجون على خطاب الجنرال الذي وقف أمام الملايين مرتديا بدلته الرسمية المرصعة بالنياشين ليعلن في خطابه بلغة عربية سليمة وصوت واثق وقامة منتصبة وملامح مطمئنة عن ضبط شبكة تخريب كبرى شارك فيها عدد من القادة الثوريين الشباب الذين تلقّوا مبالغ مالية ضخمة من جهات أجنبية لإثارة حالة من البلبلة في البلاد مستخدمين في ذلك أحدث التقنيات التي تتوفر في الدول المتقدمة، واعدا بأن تشهد الأيام القادمة إعلانا كاملا للتفاصيل، قبل أن يختم خطابه بصرف مكافأة؛ شهر إضافي، لجميع العاملين في أجهزة الدولة تقديرا لهم على حرصهم على العمل والإنتاج في ظل الظروف العصيبة التي تمر بها البلاد.

وفيما كان الجنرال يختم خطابه بأبيات شعرية مؤثرة في حب الوطن اختارها له عميد كلية اللغة العربية بنفسه، كان المسئول عن الاستوديو القيادي قد انهزم أمام رغبته في البوح ليقول لزوجته وابنه: «يخرب عقلك يا أحمد يا قاسم.. أنقذت حياتي يا بن الذين.. إنتو عارفين بقى.. أهوه اللي إنتو شفتوه ده كله فوتوشوب».

**نُشرت في صحيفة الشروق/ فبراير ٢٠١٢**

# أنين الماء

عندما سأله المارة الذين تحلقوا حوله في ميدان التحرير إذا كانت الحكايات التي يرويها حقيقية أم من وحي خياله، قال لهم بثبات أربكهم: «تبقى كل الحكايات العظيمة خرافية إلى أن يؤمن بها الناس».

في أقل من عام كان قد تحول إلى ظاهرة زلزلت البلاد وأربكت أجهزة الأمن وأعادت طقس مسامرة الأولاد من أجل أن يناموا بعد أن كاد أن يندثر. الناس كانوا يحتاجون إليه؛ ولذلك لم تأكل معهم ببصلة الحكايات التي روجتها صحف الحكومة عن كونه «إيرانيا مزقوقا على البلاد»، وقاوموها فورا بحكاية مضادة جعلته عابرا للأوطان «بيقولك إنه أستغفر الله العظيم سيدنا الخضر»، وهو لم يكن سوى مدرس أول صنع منه القهر حكّاءً عظيما، كل الحكاية أن ابنه الذي شاركه لحظات النجاة من كارثة غرق باقيَ أسرته في سفينة الحُجّاج المتهالكة، عاد يوما من المدرسة منهارا من فرط العياط، وبعد أن أقنعه أن يستهدي بالله، حكى الولد ما قاله مدرسه

عن هروب قاتل أمه وإخوته إلى حيث لا تطاله أيدي الحالمين بالقصاص، يومها لم يصدق الثبات الذي تملكه إزاء ما سمعه، وكيف ألفى بحول الله قوة رهيبة تملأ جوانحه، ولازمته ضحكة صافية أنارت وجهه، ووجد نفسه فجأة يحكي لابنه بثقة الناسك عن عدالة السماء التي لا تترك كل من ينسى أنه يفر من قضاء الله إلى قضاء الله.

« القصاص سيريحه يا بُنَيّ مما هو فيه، هو يتمنى الموت كل ليلة لكي ينهي مأساته، فادع الله مخلصا أن يطيل في عمر عذابه، رب العزة أملى له ليزداد إثما ولذلك هرب إلى حيث ما ظنه النعيم المقيم، ما لا تعرفه يا بنيّ أنه بعد ليلة والثانية وجد نفسه يصحو من النوم على أصوات استغاثة مخيفة تنبعث في قصره المنيف، لم يصدق أذنيه عندما وجد الاستغاثات تنبعث من كوب الماء الموضوع إلى جوار سريره، اقترب من الكوب ليتثبت من وهمه فخرقت أصوات الاستغاثة الهادرة أذنيه، رمى الكوب مرتعبا فدوّت أصوات الاستغاثة منبعثة من كل قطرة ماء تناثرت في الغرفة، جرى إلى الحمام مسرعا ليغسل وجهه من صدمة الكابوس، فاندلعت أصوات الاستغاثة من مياه الحنفية مرعبة مهيبة هادرة كأنها تطلب رأسه لغرق حتمي عاجل، ومن يومها يا بني صار الماء هلاكه، أيام مرت عليه وهو غير قادر على الشرب أو الاستحمام أو الخروج من عزلته في بلاد لا يفارقها المطر أبدا، يقولون يا ولدي إنه لكي يظل على قيد الحياة يقومون بعصب عينيه وتكميم فمه وسد أذنيه كلما

أراد أن يشرب أو يتبول. هذا ما حدث لقاتل أمك وإخوتك يابنيّ، فربك عادل ولا يظلم أحدًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون».

الولد نام قرير العين منشرح الصدر، وفي اليوم التالي حكى الحكاية لمدرسه وزملائه، ومعظم النار اندلع من مستصغر الشرر، وفي زمن قياسي امتلأت البلاد من أقصاها إلى أدناها بحكايات ملحمية مجهولة المصدر لكنها تُروى بوصفها وقائع ثابتة عن ضباط يصحون في وحشة الليل على كرابيج وهمية تلسع جلودهم، وساسة يشارفون على الاختناق بروائح غاز وهمية، وقضاة أتلفت أعصابهم زفرات المسجونين ظلما، ومحافظين ينامون في العراء خوفا من انهيار أسقف بيوتهم عليهم.

أما بطلنا فقد عادت حكايته عن أنين الماء إليه كأنها لا تعرفه، تماما مثلما تعود كل الحكايات لأصحابها، وهو وجد فيها طريق السلوان، ومن يومها أخذ يطوف بها وبما شابهها على الجوامع والكنائس والمقاهي ومحطات القطارات ومواقف الأتوبيسات وكنبات الميكروباصات، حتى بدا كأنه التقى بكل من في مصر، لكنه اختفى فجأة بعد أن غادرت حكايته أرصفة الشوارع لتصل إلى أروقة القصور، حدث ذلك بعد أن هدد الحاكم وزير داخليته بأن يغرقه في حوض ماء كما يفعل بمعتقليه المرسلين إليه من جوانتانامو، إذا لم ينه على الفور مهزلة حكايات القصاص التي باتت تقض مضجعه، ولم يطل البحث عن بطلنا طويلا، فقد كسره الولس، بعد أن تكفلت وشاية حقيرة بالقبض عليه في مدرج درجة

ثالثة وهو يحكي للناس بين الشوطين قصة النمرود الذي قتلته ناموسة تسربت من أذنه إلى داخل دماغه فأخذ يأمر حاشيته بضربه حتى مات، قائلا لهم وهو يضحك إن الناموس المصري يستطيع أن يفعل ذلك لو أعدنا إليه الثقة في نفسه وتوقفنا عن محاربته بأجهزة الإيزالو والكيتوفان.

اليوم، وبعد كل هذه السنين لم يعد باقيا من ذكراه سوى ذلك التسجيل اليتيم الذي يتناقله الناس على أجهزة المحمول، والذي التقطه له شخص ما من العاملين في أجهزة الأمن قبل لحظات من اقتياده إلى مكان ومصير غير معلومَيْن، ضحكته كانت صافية كأنه عريس غارق في الهناء، ووجهه كان يشع نورًا أو لعلها كانت إضاءة الجهة الأمنية التي كان محتجزا بها، وصوته كان هادرا لدرجة جعلت كل من سمعه يتخيل أنه يكلمه هو دون غيره، كل الذين سمعوه لم يكونوا بحاجة لإعادة الفرجة عليه لكي يحفظوا ما قاله، ألسنتهم لا زالت تلهج بكلماته كأنها قيلت للتو: «لن تتحقق العدالة في هذه البلاد، لذلك احلموا بها وهي تحل على الجلادين والقتلة والفاسدين، ثم اروووا أحلامكم لأبنائكم كل ليلة، لعلها عندما يكبرون تنتقل بشكل خرافي من عالم النوم إلى عالم اليقظة».

نُشِرت في صحيفة المصري اليوم/ ٢٠٠٩

# أصابع «الحُزن الخَفيّ»

تضحك؟ من حقك أن تضحك. أنت لم تجرب أبدا مهانة ذلك الإحساس، وكل الذين لم يجربوا مهانته يجدونه مضحكا، مع أنهم لو جربوا تلك المهانة لما ضحكوا حتى وإن حدث ذلك لأشد خصومهم لددا.

أنت تعرف ماذا يطلقون على ذلك الفعل المهين في التعبير الشعبي الدارج، هه؟ نعم، بالله عليك ألا تجد في اختيار اسم كهذا أمرا لا يليق بما يحمله الفعل من مهانة؟ ألا تجد أن تلك التسمية تحمل عبثا يليق بالروح الشعبية الجارحة الراغبة في التشفي ممن يؤذيها؟ هل يمكن أن أطلق اسما عابثا مثيرا للسخرية على فعل القتل أو جريمة الاغتصاب؟ فلماذا إذن اختار شعبنا لذلك الفعل الجارح المؤلم اسما عابثا كهذا؟! ألا يعتبر فعل كهذا قتلا لروح المفعول به وإهدارا لكرامته؟ هل تجدني مبالغا فيما أقوله؟ جَرب إذن أن تجد إصبع شخص آخر في مؤخرتك، عندها فقط ستتفق معي في كل ما أقوله، وستطالب باتخاذ إجراءات فورية لتغيير الاسم الشعبي

لذلـك الفعل الدنيء، فضلا عن التضامن مع كل من طالب بالأمس تحـت قبة البرلمان باتخـاذ إجراءات عاجلة لوضـع مادة خاصة في قانـون العقوبات تجرم كل من يرتكب فعـلا دنيئا كهذا الذي لا زلنا نبحث له عن اسم يختصره دون أن نلجأ إلى اسمه الشعبي البذيء.

تضحـك مجددا؟ من حقك أن تضحك، لكن صدقني، ليس من حقك أن تلوم أعضاء البرلمان لأنهم يركزون على قضية كهذه تراها هامشـية، وتعتبرهـا امتدادا لتركيزهم على قضايـا تافهة لا علاقة لها بهموم الناس وأحلامهم، لو وضعت نفسك مكان أي منهم وعرفت ما حدث لهم في ذلك اليوم الحزين، لما ضحكت على الإطلاق.

شـوف يا سـيدي، أنت الآن عضو برلمان نجحـت في انتخابات حـرة ونزيهـة، لا زال كارنيـه المجلـس طازجـا في جيبـك، تدخل إلى قاعـة المجلس الكبرى في يومك النيابـي الأول، يملؤك الفخر والحماس لأنك حصلت على ثقة أبناء دائرتك الذين ينتظرون منك الكثيـر، تتجـه نحو مقعدك منتظرا بدء جلسـة الإجراءات لكي تقف وتقرأ اليمين الدسـتوري الذي تدشن به مهام عملك، فور جلوسك على مقعدك تجد نفسك وقد انتفضت من عليه لأنك شعرت بإصبع يندس عنوة في مؤخرتك.

مستمر أنـت فـي الضحـك؟ ليس فـي الأمـر ما يضحـك على الإطـلاق، لك أن تعلـم أن قاعة المجلـس كادت تتحول إلى أرض معركة دامية في ذلك اليوم الذي لم تطلع له شـمس، كان من حسـن الحـظ أن كاميرات التلفزيون لـم تكن قد بدأت بثها لوقائع الجلسـة

التاريخية على الهواء، وإلا لكان الملايين قد رأوا تلك الصفعة التي انهال بها أول النواب الجالسين على خد جاره الذي كان يتخذ لتوه وضع الجلوس، نظر الكل ذاهلين إلى ما حدث، وتوقعوا معركة حامية الوطيس، فقد كان النائب الصافع ينتمي إلى أكبر الأحزاب الإسلامية تأثيرا وانتشارا، بينما كان النائب المصفوع ينتمي إلى أعرق الأحزاب الليبرالية في البلاد، وكان قادة الحزبين بالمصادفة قد خاضا معارك إعلامية حامية الوطيس قبل أيام من افتتاح البرلمان لأعماله.

صوت الصفعة الذي دوى في القاعة أعقبته جملة صارخة هتف بها الصافع: «إنت إتجننت.. إيه اللي إنت بتعمله ده؟!»، ليتهاوى بعدها النائب المصفوع على مقعده مذهولا، قبل أن ينتفض قافزا من مقعده كأن عقربة لدغته، لينهال بدوره على الصافع بصفعة أقسى أعقبها بجملة صارخة: «تصدق إنك إنسان حقير». لم يفهم أحد من الذين تابعوا المشهد شيئا مما حدث، فجأة انشغل المجاورون للاثنين بمحاولة إبعاد يدَيْ كل منهما عن رقبة الآخر، قبل أن تدوي أصوات متناثرة من أطراف القاعة صارخة: «الله.. في إيه.. إيه ده.. عيب كده.. إيه اللي بيحصل ده؟»، وتندلع اشتباكات ثنائية في جنبات القاعة لم تكن أطرافها هذه المرة متنافرة سياسيا، فبعض المشتبكين بدنيا كانوا من أبناء حزب سياسي واحد، بل إن بعضهم كانت تربطه بالآخر المشتبك معه صداقات عُمْر قديمة لم تنجح حتى المعتقلات في زعزعتها، ومع ذلك سقطت الآن بشكل غامض لم يفهمه كل الذين كانوا يراقبون الموقف من شرفة

الصحافـة، والذيـن بـدا لأقدمهـم أنه يشـهد عجبا عجابا لـم يسـمع بحدوثه من قبل في كل برلمانات العالم.

كان أكبر الأعضاء سنا الذي تم اختياره لرئاسة جلسة الإجراءات قـد وصـل بعـد عناء إلـى منصـة المجلس مسـتعدا للجلـوس على كرسي الرئيس ليعلن من عليه بدء جلسة الإجراءات، وعندها فاجأه ذلك المنظر الغريب لقاعة المجلس وهي تتحول إلى سـاحة شعبية مليئة بالمشتبكين، أمسك الرجل بالمطرقة الخشبية الموضوعة أمام كرسي رئيس المجلس، وأخذ يضرب بها بكل ما أوتي من قوة وهو يصرخ في الميكروفـون بصوته الجهوري: «بس يا عضو منك ليه.. ما يصحش يـا إخوانا والله.. ما تفعلونه لا يصح على الإطلاق.. لم أر شيئا معيبا مثل هذا في حياتي البرلمانية التي دامت أربعين عاما.. أقسـم بالله الذي لا إله غيره إنني سـأحيلكم جميعـا إلى لجنة القيم حتـى لو لـم يكن ذلـك من صلاحياتي.. اتقوا الله في أنفسـكم وفي شعبكم الذي اختاركم لتمثيله ولتلبية طموحاته وأحلامه»، لكن كل ما ارتجله من جمل غاضبة لم يفلح أبدا في تهدئة ثائرة النواب الذين كان كل منهم منشـغلا بالإمسـاك بخنـاق الجالس إلى جـواره، نظر أكبر الأعضاء سـنا بنفاد صبر إلى أصغر الأعضاء سـنا الجالس إلى شماله فوجده يدور حول نفسه وهو يتلفت يمينا وشمالا بذعر، نظر إلـى ممثلـة المرأة التي تجلس إلـى يمينه والتي تـم اختيارها لتكون وكيلـة لـه في هـذه الجلسـة ففوجئ بهـا وقد سـقطت على الأرض مغشـيا عليها، ثم فوجئ بأصغر الأعضاء سـنا وهـو يقترب منه وقد

كاد الدم ينفجر من وجهه وهو يقول له بذعر: «الكراسي دي فيها حاجة غريبة حضرتك».

لم يفهم أكبر الأعضاء سنا كل ما حاول زميله الصغير أن يشرحه له، مما اضطر زميله لكي يدفعه بحدة نحو كرسي الرئيس الوثير لعله يفهم مقصده دون أن يضطر لمزيد من الشرح المحرج، لكنه لم يحسب حساب رد الفعل الغريزي الذي اتخذه الرجل «الكُبّارة» والذي دفع العضو الشاب ثمنه عندما وجد نفسه ملتصقا بجدار القاعة بعد أن دفعه الكهل العجوز بقوة بدت غريبة عليه وهو ينتفض مبتعدا عن الكرسي قبل أن يستدير لينظر إليه ذاهلا، ثم يقرب رأسه منه ويمد يده ليتحسس باطنه الجلدي بتردد، متفكرا فيما شعر به منذ قليل، قبل أن يتجه إلى الميكروفون لكي يصرخ فيه بحرقة: «يا إخواني إنها مؤامرة، ليفلت كل منكم خناق أخيه، فإنها مؤامرة، والله الذي لا إله غيره إنها لمؤامرة.. لقد أدركت الآن لماذا تمسكون بخناق بعضكم البعض.. لقد جلست مثلكم على كرسي رئيس المجلس وشعرت بما شعرتم جميعا به.. أقسم بالله إنكم إذا لم تتوقفوا عن الخناق فإنني سأطلب من كاميرات التلفزيون أن تبدأ بث الجلسة على الهواء لكي تشاهد البلاد بأكملها ما تفعلونه ببعضكم البعض».

وقع تهديد الرجل الحكيم على الجميع وقع الصاعقة فتوقفوا عن الخناق ناظرين إلى الكاميرات بحذر، ليجدوا مصوريها فاغري الأفواه يحاولون استيعاب ما يرونه حولهم من جنون. من جديد عاد صوت الرجل الحكيم لكي يجلجل في القاعة التي عمها الهدوء

أخيرا: «نعم يا إخوتي صدقوني لقد شعرت مثلكم بإصبع ما يندس بداخلي ويعبث بي.. وأنا كما ترون لا يجلس إلى جواري أحد.. أليس هذا ما جعلكم تشتبكون مع بعضكم البعض.. هه؟ أليس كذلك؟! لا تخجلوا فنحن لسنا على الهواء.. ولا بد أن نصارح أنفسنا لكي نجد حلا قبل أن تبدأ إذاعة الجلسة على الهواء.. لن يكون هناك مجال لتأخير البث منعا للقيل والقال.. أنتم تعلمون أن البلاد لا تحتمل مزيدا من الشائعات.. لذلك تكلموا بالله عليكم.. هل وجدتم إصبعا يعبث بكم كما عبث بي؟».

بدأ بعض النواب يهزون رءوسهم وهم يتلفتون حولهم خجلا، بينما بدأ نواب آخرون يقسمون إنهم مظلومون لأن جيرانهم أمسكوا بخناقهم دون أن يكون لهم يد فيما حدث لهم، سادت القاعة حالة من المصارحة والمكاشفة تحولت إلى هرج ومرج، لكن ذلك سرعان ما توقف عندما حاول عضو مجهد الجلوس على مقعده لأنه شعر بالتعب، قبل أن ينتفض من مقعده صارخا: «تاني.. لا مش معقول كده»، أخذ يمسك بمؤخرته متألما هذه المرة وهو يدور حول نفسه ويصرخ غاضبا، ما شد انتباه الجميع أن أحدا لم يكن يجلس وقتها إلى جوار النائب المنتفض. وهو ما جعل أكبر الأعضاء سنا يعود للجلجلة في القاعة: «ألم أقل لكم.. هي ورب الكعبة مؤامرة.. هناك من يسعى لإفشال هذا المجلس التاريخي.. إنني أتهم رموز النظام الساقط بتدبير هذه المؤامرة الرخيصة التي نحمد الله أننا لم نتعرض لها ونحن على الهواء وإلا كنا قد تحولنا إلى مسخرة للبلاد بأسرها».

سـادت لحظات صمت في القاعة لم تستمر طويلا، ليعلو اللغط من جديد في القاعة، بعد أن بدأ الجميع يحاولون فهم ما حدث لهم منذ قليل، أخذ هذا يقسم إنه متأكد من أن هذه الجريمة النكراء يقف وراءهـا رجال النظام السـابق الذين لا زالوا يتولـون مناصب قيادية فـي إدارة البرلمـان مذكرا بأنـه طلب طردهم مـن مناصبهم قبل بدء البرلمان لأعماله، وأخذ ذلك يتهم واحدا من أشـهر رجال الأعمال العلمانيين في البلاد بأنه يقف وراء ما حدث لأن شـركة المقاولات التابعـة له هي التي قامت بتأثيث وتجديـد القاعة قبل افتتاحها وهي التي لا شـك زرعـت بطريقة تكنولوجيـة غير معلومـة أصابع خفية تعبث بمؤخـرات النـواب فور جلوسـهم، قاطعه نائـب آخر مذكرا أن النـواب الذيـن ينتمـون إلى الحـزب الذي يرعاه رجـل الأعمال العلماني تعرضـت مؤخراتهم أيضا للعبث بها، فيما قال نائب آخر: للجميع أن يتذكروا أن في الخارج مظاهرات يشترك فيها شباب من كافة الأحزاب التي لم تنجح في الانتخابات يرفعون لافتات تطالب النواب بأن يمسـحوا كراسـيهم قبل الجلوس عليهـا لأن عليها دماء الشـهداء؛ زاعما أن تلك اللافتات تشـكل تهديـدا صريحا لا يمكن فصلـه عمـا حدث منذ قليل، بـل ووصل الأمر إلـى أن يصرخ نائب كث اللحية في الجميع مطالبا إياهم بتقوى الله، ومذكرا أن ما حدث وراءه عـدم الاسـتجابة لطلبـات حزبـه بضرورة تشـغيل أجـزاء من القـرآن الكريم قبـل دخول القاعة لكي تطرد منهـا مردة الجن الذين يمكـن أن يكون رجال النظام السـاقط قد قاموا بتسـخيرهم لإفسـاد عمـل النـواب الإسـلاميين. بينمـا كان أكثـر مـن نائب فـي مواضع

متفرقة من القاعة يحاول بين الحين والآخر تجريب الجلوس على مقعده تاركا مؤخرته تهبط بحذر على الكرسي بعد أن قام بمسح الكرسي مرارا وتكرارا ليجد كل منهم نفسه وقد قفز من جديد في سماء القاعة وهو يسب ويلعن.

فجأة رأى النواب أمين عام المجلس وهو يدخل إلى القاعة ممسكا بالمسئول عن صيانة القاعة من قفاه وهو يجرجره إلى حيث يواجه النواب جميعا وهو يصرخ: «أقسم بالله العظيم إنني بريء من كل ما حدث، ده المسئول عن الصيانة حاسبوه، إنما أنا لا علاقة لي بالنظام السابق ولا برجاله، ويشهد الله على ذلك»، دفعه المسئول عن الصيانة بعيدا قبل أن يصرخ بدوره: «وهو أنا يعني اللي تبع النظام السابق، ياحضرات النواب أقسم بالله العلي العظيم إن ما فيش إيد إتمدت على الكراسي دي من حوالي شهر.. وما حدش دخل القاعة دي إمبارح إلا رجالة أمن الدولة عشان يفتشوها.. ولو في حد عايزين تتهموه اتهموهم هم بقى.. ما تجوش علينا إحنا الغلابة».

تعقد الموقف عندما دخل إلى القاعة اللواء المسئول عن تأمين البرلمان مهرولا نحو أكبر الأعضاء سنا وقام بمناولته هاتفه المحمول، ليتحدث فيه باحترام شديد، ثم يعيده من جديد للواء، قبل أن يقول للأعضاء في المكروفون بنبرات متوترة مرتبكة: «يا جماعة عندنا مشكلة كبيرة.. تلقيت من قيادة البلاد أمرا بضرورة البدء في نقل الجلسة على الهواء مباشرة لأن العالم بأسره ينظر إلينا الآن.. ولا مجال لتأخير البث لأنه سيفتح تكهنات كثيرة بلادنا في غنى عنها.. لذلك أريد أن أسألكم هل يمكن أن تتحملوا الجلوس

على مقاعدكم خلال ساعات بث الجلسة على الهواء؟»، دوّت أصوات النواب ساخطة لاعنة شاتمة في القاعة، قبل أن يعود أكبر الأعضاء سنا للضرب بمطرقته وهو يصرخ في المكروفون: «كان مجرد سؤال يا سادة، أنا أعلم أن الموضوع صعب، أنا أعلم ذلك جيدا فقد مرضت بالبروستاتا والبواسير معا وأعلم كم هو مؤلم الاقتراب من منطقة كهذه، وأعلم أن هذا الأمر لن يمر مرور الكرام، وأنه لا بد من إجراء تحقيقات حاسمة فيه تكشف لنا من هو المجرم الذي قرر أن يعبث بنا، لكنني كنت لا بد أن أسألكم سؤالي هذا قبل أن أقترح الاقتراح الذي يمكن أن يحل الأزمة مؤقتا حتى نعبر هذه الجلسة، وأتمنى إذا أعجبكم أن نعتمده لكي نبدأ وقائع الجلسة التاريخية فورا على الهواء مباشرة».

... بعد لحظات كانت البلاد بأكملها تشاهد بدء وقائع جلسة الإجراءات التي تفتتح أعمال البرلمان الذي يبدأ مرحلة جديدة في تاريخ البلاد، لم يستغرب أحد أن جميع النواب ظلوا واقفين طيلة ساعات الجلسة الممتدة، فقد رأى الملايين قبل قليل أكبر الأعضاء سنا وهو يفتتح الجلسة بكلمة تاريخية حماسية أقسم فيها باسم النواب جميعا إنهم لن يجلسوا على كراسيهم أبدا طيلة الجلسة الافتتاحية احتراما وتقديرا لأرواح الشهداء التي جاءت بالنواب إلى البرلمان. بكى الشعب كله وهو يستمع إلى تلك الكلمة التي ألهبت عواطفه ورأى نوابه يصفقون لها بتأثر بالغ، لكن أحدا من الشعب لم يفهم لماذا ظهر بعد قليل نوابه المحترمون وهم يفغرون أفواههم ذهولا أثناء نظرهم إلى أعلى القاعة حيث تتمركز شاشة

إلكترونية كبيرة لم تقترب منها كاميرات التلفزيون أبدا ليقرأ الناس ما كان نوابهم ينظرون إليه.

وحدهم الذين كانوا موجودين في القاعة من صحفيين وموظفين ومصورين عرفوا سر ذلك الذهول الذي اكتسى ملامح النواب، فقد قرءوا هم أيضا تلك الرسالة التي تمت كتابتها على الشاشة الكبيرة قبل أن تختفي سريعا بشكل ظل حتى اليوم لغزا لم تكتشف سره كل أجهزة التحقيق التي لا زالت تعمل جاهدة لكشف المتسبب في مهزلة العبث بمؤخرات النواب، وهي المهزلة التي بلغت ذروتها بتلك الرسالة التي قرأها النواب على شاشة المجلس الداخلية: «إذا لم تقتصوا لنا من الذين قتلونا فلن تهنئوا أبدا بالجلوس على كراسيكم. الإمضاء الشهداء».

هه. هل لا زلت تريد أن تضحك؟

**نُشرت في صحيفة الشروق/ مارس ٢٠١٢**

# أمجد الذي قتله الشك!

إذا كنت تخاف أن تلقى مصير صديقنا أمجد، فأرجوك، عندما تسمع تعبير «الشك القاتل» لا تأخذ الأمر باستخفاف وتذكر أن الشك يمكن أن يكون قاتلا فعلا.

لا أدري في أي كتاب تراث قرأت أن الشيطان يداهم كل إنسان من أضعف نقطة لديه، إما من حبه للمال وإما من خوفه على العيال وإما من نهمه للأكل وإما من تريله على النساء، وإذا صح هذا الكلام، فيبدو أن الشيطان قد داهم أمجد من أضعف نقطة سفلية لديه، من عيب نفسي خطير رافقه منذ طفولته الأولى. كان أمجد منذ نعومة أظافرنا يعيش رعبا حقيقيا من انكشاف مؤخرته ولو كان ذلك من أجل هدف سامي كالتطعيم مثلا، ففي أيام التطعيم كان أبوه يأتي إلى الوحدة الصحية ليعطيه الحقنة في مؤخرته بنفسه.

لم يكن أمجد يوافق أبدا على أن ينزل معنا إلى البحر، كنا نفسر خوفه من البحر لأنه عاش معنا تجربة غرق صديق لنا أمام أعيننا

ونحن في العاشرة، ومع أننا نسينا تلك الذكرى المريرة كما هي حال الإنسان، إلا أننا كنا نكبر فيه وفاءه لذكرى صديقنا، إلى أن مرت السنين وكبرنا وعرضنا عليه يوما ما أن ينزل إلى البحر معنا، فاعتذر بدعوى الوفاء، خنقَنَا وفاؤه الممل فقررنا أن نُنزله البحر غصبا عنه، لكنه فرّج علينا خلق الله في شاطئ الأنفوشي وهو يصرخ بلوعة أرملة حرموها من الميراث: «لأ.. مش عايز حد يشوفها عريانة.. لو حصل هاموت.. حرام عليكو»، لنكتشف أن أمجد كان قد نسي اسم صديقنا الغرقان أساسا، وأنه كان يخاف على شيء آخر لم نحسب له حسابًا لأنه لم يكن بحمد الله داخلا في مجال اهتمامنا على الإطلاق. بعد أن خرج أمجد معنا إلى البر آمنًا مستورًا، اتضح على شيزلونج القهوة أن عقدته بدأت على يد أمه رحمها الله والتي منذ أن بلغ الثالثة من عمره ووجب نزوله للعب في الشارع «عشان يبقى راجل»، كانت تختلي به على باب الشقة وتحذره من أن يضحك عليه أحد ويستدرجه لكي يريه القطر ويسلبه أعز ما يملك، مع أن أباه كان يملك شقة مقفولة في العامرية، جعلت صديقنا محمود الشهير بكَبَاكَه يعلن استعداده للذهاب طوعا لرؤية القطر مع أي حد، لو ساب له شقة زي اللي سابها أبو أمجد لابنه.

مرت الأيام وكبر أمجد لكن تحذير أمه ظل يتضخم في لا وعيه ليعيش عبدا له، في حياته لم يقض حاجته في حمام عام، لم يغير ملابسه في بروفة محل، لم يتعرض لعملية جراحية أبدا، لم «يَبِتْ» ولو مرة خارج بيته، خوفا من وجود كاميرات سرية تصور مؤخرته

عارية، أبدا لم يعمل بالسياسة أو يعلن رأيه فيها، ليس خوفا من الاعتقال أو التنكيل، بل من أن يقف يوما ما عاريا أمام أحد سواء كان جلادا أم زميلا له أم حتى لجنة تحقيق دولية.

ظل هوس أمجد قابلا للسيطرة، إلى أن انتشر مؤخرا في البلاد نبأ الدكتور الشهير الذي دس كاميرا خفية لمريضات عيادته وقام بتصويرهن عاريات خلال الكشف، ثم ساومهن بعد ذلك بصورهن ليجبرهن على ممارسة الجنس، ومن يومها وأمجد يعيش أسود أيام حياته، ليس لأن زوجته والعياذ بالله كشفت عند ذلك الدكتور اللعين، فأمجد ليس متزوجا لأنه خاض تجربة طلاق مريرة لأن عروسته قالت له على سبيل المدح إنها أحبت تكشُّف خلفيته وهو نائم.

كل الحكاية أن أمجد كان قد ذهب إلى أمهر أطباء البلاد طلبا للتداوي من داء ألم بغدة البروستاتا لديه بسبب تراكم كتمه لرغباته المشروعة، وبرغم أنه خف على يد الطبيب إلا أنه من ساعة ذيوع خبر طبيب الكاميرات ظل يعيش مرعوبا أن يكون داء تصوير المرضى قد أصاب طبيبه هو راخر، فيجد ذات يوم نفسه عاري المؤخرة على «اليوتيوب» والبشرية كلها تشاهده، بعضنا حاول أن يقنعه بأن سمعة الدكتور لا تشوبها شائبة، وبعضنا ركز على أن مرضى اليوتيوب لن يفرق حضرته معهم ببصلة، وهو أظهر لنا أنه مقتنع، حتى ظننا أنه نسي الأمر، إلى أن صحونا على خبر حزين فجعنا بأن أمجد سقط من الدور الثامن وهو يحاول التسلل من

بلكونة شقة اقتحمها عنوة لأنها تجاور بلكونة عيادة الدكتور لسبب غامض لم يعلمه أحد غيرنا طبعا.

الذين رافقوا لحظاته الأخيرة أقسموا لنا إنه فارق الحياة وعلى وجهه ابتسامة رضا، نحن فقط فسرناها أنه مات دون أن يشاهد مؤخرته أحد، فالمغسل غير محسوب طبعا لأن المرحوم أمجد ببساطة لم يكن حيا وقت الغسل.






عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

## متابع إيه؟

كُنّا «وش الفجر»، وكان شارع القصر العيني قد بدأ يرتاح من شقاه، وكنت أجلس على النادي النوبي مستغرقا في القراءة والقرفة بالحليب، أفزعني صوت خطواته وهو يقطع الشارع جاريا نحوي، في البداية ظننتها محاولة اغتيال، وعندما احتضنني قبل أن أتحقق من شخصه، حمدت الله على فشل محاولة الاغتيال وبدأت أتعامل مع الأمر على أنه محاولة تحرش، قضا أخف من قضا. انتهى من حضنه، فأخذت أتفحص ملامحه وجيوبي والموبايل، وعندما عرفته اتخضيت لما آل إليه حاله، لكنني أخفيت مشاعري المشفقة خلف ضحكات ودودة وخبأت خوفي من غدر الزمان وسط تربيتات متلاحقة على الكتفين، وانهلت عليه بأسئلة تبدو لحوحة عن حاله مع الدنيا.

«باشتغل مترجم»، قالها بثقة ألغت فكرة كونه بيهزر، «بسم الله ما شاء الله.. فين بأه؟»، تعامل مع سؤالي بثبات انفعالي كامل قائلا:

«في الدنيا»، وقبل أن أبذل مجهودا في الفهم شرح: «باترجم الدنيا عشان الناس تفهم بعضها»، عيناه الزائغتان وضحكته المرتعشة والندوب التي لم ينجح كُم القميص في إخفائها ترجمت جملته وحالته، أصبح كل همي أن ألصق قفاي بالحائط لأتقي شر لسعة مفاجئة عليه، أحس بتوتري فهتف بي: «إيه يا عم.. إنت مش عايش معانا ولا إيه؟ إحنا مِتكتِّفين يا أستاذ»، قلت مرتبكا: «مين ده اللي يستجري يكتفك؟»، صمت قليلا وقال: «ما فيش حد معين.. بس أنا مِتكتِّف.. ودي حاجة عمرك ما هتحسها».

لم أحب أن ندخل في مسائل شخصية، فسألته: «إنما إيه أخبار التمثيل معاك؟»، الشرر الذي طق في عينيه جعلني أتمنى لو كنت طلبت تغيير السؤال، بدا لي أنه يحاول أن يسيطر على نفسه، وبعد لحظات قال: «ما فيش.. بقيت أحب أتفرج أكتر من إني أمثل»، ظننت بإجابته خيرا فجريت وراء فضولي الكريه لمعرفة سر تركه التمثيل فجأة مع أنه كان مشروع ممثل فاشل، بل ونجح في تحقيق مشروعه فعلا: «ألا إنت إيه آخر حاجة مثلتها؟»، دبّ خلّة أسنان في فمه وجزّ عليها قبل أن يقول بعصبية: «مش حلو خالص السؤال ده.. الأذوق تسألني إيه آخر حاجة تابعتها اليومين دول»، تأسفت ثم رددت سؤاله كالبغبغان، فكر فيه مليا كأنه لم يكن يتوقعه ثم قال: «باتابع أغنية محمد الحلو بتاعة ليالي الحلمية.. عارفها؟»، قلت بتسليم: «طبعا.. دي مكسرة الدنيا.. مش قصدك بتاعة ومنين بييجي الرضا؟»، رد بعصبية: «لا ..بتاعة ومنين نجيب الصبر يا أهل الله

يداوينـا». ألصقت قفاي بالحائط فصكتني برودته، وهو قال بجدية: «ومتابع كمان مجموعة ماتشات الأهلي الأخيرة».

نظر إلى كومة الجرايد التي أمامي، ثم قال بصرامة: «يا ريت تزيح الجرايد عشـان نـاوي أطلب قهوة»، وقبـل أن يعطيني فرصة لطلب القهـوة، قال: «بس إنتو ما عدتوش مع بعض زي الأول!»، طلبت له القهوة ورديت: «عندك حق»، طلبها مضبوطة وقال: «إنت عارف أنا قصدي على مين؟»، طلبت لنفسـي واحدة أخرى وقلت: «لأ.. بس أنت عندك حق إحنا فعلا ما عدناش مع بعض زي الأول»، سدد إلى عينيّ نظرة مباشرة وقال: «أنا باحترم صراحتك». استغللت احترامه فسـألته: «أنت كنت فيـن على كده؟»، «عديت علـى واحد صاحبي في قسـم قصر النيل عشـان أديله دوا»، «محبوس؟»، «لأ.. ضابط.. طلـب مني أجيب لـه فولتارين»، «وهو في ضابـط مايعرفش يجيب فولتارين؟»، هز رأسـه سـاخرا وقـال: «ما هو الفولتارين ماشـي في مصر طولها وعرضها»، وأنا اعتبرت الإجابة مفحمة فلم أسأل ثانية.

بدأنـا شـرب القهـوة في صمـت، أخـذ منها رشـفة ودلـق باقي الفنجان في الأرض، ثم نظر إلى كومة الجرايد قائلا: «ممكن ترشح لي جرنان أقراه؟»، قلت له: «مش عارف أنصحك بإيه»، علا صوته وقال: « أنا قصدي من الجرايد دي»، اخترت له أكبر الجرايد حجما وأقلها قيمة، وهو أخذ الجرنان وفرده، ورفع قميصه إلى أعلى معريا صـدره المليء بالندوب المريبة غير عابئ بلسـعة البـرد أو بنظرات الناس، وبدأ في لف صدره بملحق السيارات، ثم كوّر باقي الجرنان

ووضعه في بنطلونه ثم نظر إلى نفسه نظرة رضا، وقال لي مباغتا وهو يلوح بملحق الكورة: «هو حسني هيمشي إمتى؟»، قلت له: «والله مش عارف.. مش باينه هيمشي»، فأردف بخوف كان جديدا على عينيه: «خد بالك أنا باتكلم عن حسني عبد ربه!»، وأنا قلت له مُطَمْئنـا: «ما تخافش.. أنا قاريك»، فرد بأسى وهو يغادرني: «كان لازم وأنا باسألك أنزل لك الترجمة».

**نشرت في صحيفة المصري اليوم/ ٢٠١٠**

# الجيران لبعضيها!

قوى شريرة كثيرة فشلت في تضييع مستقبل صديقنا النابغة، لكن جارا له أوشك أن ينجح في ذلك.

بصراحة خفت على صديقنا النابغة عندما جاءني ذات يوم وهو زائغ العينين منكوش الإرادة، وابتدرني بسؤال لم أكن أتوقعه على الإطلاق: «تفتكر أنا لو قتلت ابن الصرمة اللي ساكن قصادنا مش ده يبقى دفاع عن النفس؟». كان آخر من يخطر العنف على باله من بين كل معارفي، هو صديقنا الذي بلغ من تهذيبه أنه كان يقول لنا عندما نلعن الشيطان: «يا إخواننا ادعوا له بالهداية»، فماذا حدث له إذن؟ ولماذا وكيف، أسئلة أجيبك عنها بعد أن تُسمعني أولا قولك: «سبحان مَن يُغير ولا يتغير».

بعد أسبوعين من دُخلته المباركة على زوجته التي حفي من أجل أن يتزوجها ويضاجعها بما لا يخالف شرع الله، كنا نسأله كلما زرناه أو هاتفناه كأصحاب عن أخبار السيكو سيكو، عادي يعني ألسنا أصدقاءه؟ وكان دائما يرد علينا بغضب يتصاعد من مرة لأخرى أن

تتنيل ونسكت، وقبل أن يروح بالنا لبعيد فنظن به أو بها الظنون، قرر أن يحكي لنا مأساته، ليتضح لنا أن صديقنا يدفع منذ زواجه السعيد غاليا ثمن استخفافه بالأمثال الشعبية؛ فهو لم يسأل عن الجار قبل الدار؛ لأنه ما صدّق أن يجد شقة لُقطة متشطّبة سوبر لوكس ليضع بها عفشه ويسكنها سريعا ليقضي وطره بالحلال، ويا ليته ما فعل، ربما عذره أنه لم يتوقع أن يُقضى على أحلامه المشروعة في المضاجعة الحلال، جار سيكوباتي يسكن في الشقة المواجهة لغرفة نومه، يخرج منتصف كل ليلة إلى البلكونة عاريا إلا منْ بوكسر فاحش، مخرجا معه إلى البلكونة ثلاجته الستاشر قدم وخرطوما طويلا موصولا بحنفية مطبخه، ويبدأ في غسل الثلاجة بالماء والصابون في البلكونة على أنغام موسيقى «هيفي ميتال» صاخبة تجلجل كل ليلة لأكثر من ساعتين دون أن ينبس أحد من السكان ببنت شفة.

رغبنا في تخفيف معاناة صديقنا الذي كان يحكي لنا وهو يجهش بالبكاء، فحكى له أحدنا عن جاره الذي يعشق تحريك الأثاث كل ليلة في تمام الثانية بعد منتصف الليل، وأضاف آخر أملوحة عن جاره الذي يسكن فوقه والذي أيقظ أطفاله مفزوعين في عز الليل وعندما صعد ليتخانق معه، وجد أن جاره قد كوّم أثاث البيت كله في غرفة وأخذ يجري شبه عارٍ في الشقة «عشان يخس»، وجد صديقنا في حكاياتنا بعض العزاء فتشجع بسؤالنا عن رأينا في جدوى تحرير محضر لجاره المأفون، فتحولنا جميعا على الفور إلى حكاية نوادر وأملوحات عن البهدلة التي نالت كلًّا منا عندما دخل قسم بوليس برجليه، فألغى صديقنا الاقتراح قبل أن ينفضّ مجلسنا.

لم ندرك خطورة الشحن العاطفي الذي عرضنا له صديقنا ليلتها، فمن أين كنا سنعلم أنه لن يكتفي بالشكوى العاجزة، وأنه سيتنحرر أخيرا فور أن تقول له زوجته ساخطة: «هتفضل ساكت لإمتى؟!» بعد أن فاض بها الكيل، لأن صوت موسيقى الروك قطع تصاعد لقاء زوجي حميم من ذلك الذي يظهر تلاطم الأمواج وفوران كنكة القهوة كبديل بصري له في أفلام الأبيض والأسود، وصديقنا قرر أن تفور كنكته وتتلاطم أمواجه في وجه جاره المأفون؛ ولذلك حط الروب على لحمه وانطلق إلى شباك مطبخه ففتحه وبدأ ينهال بالشتائم على جاره الذي واصل بكل برود غسيله العاري للثلاجة، وعندما وضع الجار اللعين يده في مكان حساس من البوكسر في حركة تحدٍّ سافرة، فقد صديقنا شعوره وأخذ يرميه بحبات البصل التي وجدها قرب شباك المطبخ، ليفاجأ بجاره ينسل إلى شقته صامتا بصحبة ثلاجته وخرطومه مطفئا الكاسيت وأنوار شقته أيضا، مما أعاد صديقنا إلى عرينه مرفوع الهامة منتصب القامة، ليسجل ليلتها أجمل أهدافه في مرمى الزوجية.

في اليوم التالي فوجئ صديقنا عند نزوله إلى العمل أن العمارة بأسرها تتناقل أخبار موقعته المظفرة، فانبسطت أساريره ومنّى نفسه بمبارا'ة ليلية أشد متعة وإثارة، فجأة انبرى له ساكن قديم ليأخذه بالحضن قائلا بصوت دوّى في سماء المنور: «أخيرا ابن السافلة ده لقى راجل يقف له.. والله العظيم قلت لهم لازم ييجي يوم ويسكن عندنا حد ما يعرفش إنه اتسجن سبع سنين في قضية قتل المحامين، ولاد الكلب خلوه يتحبس فيها سبع سنين بس على

أساس إنه بيدافع عن نفسه، مع إن كل الناس عارفة إنه شراني وابن صرمة.. هو إيه هيرعبنا يعني.. آديك أهوه مسحت بكرامته الأرض ومافتحش بقه». ترك الجار صديقنا مرعوبا بحيث إنه لم يسمع شيئا طيلة اليوم سوى أصداء تلك الجُمَل التي قالها جاره بحماس، وفي المساء لم ينزل إلى ملعب المضاجعة رغم سعي زوجته الحثيث لإقناعه بالتسخين ومحاولتها إحماءه بكل ما أوتيت من قدرات كادت أن تنجح ، لولا أنه عندما أعلنت إشارات ضبط الوقت تمام منتصف الليل، دوى صوت «الهيفي ميتال» مجدداً معلنا عودة جاره إلى العربدة، فنظرت زوجة صديقنا إليه مشرئبة، لتستغرب اكتساء وجهه بهدوء ملائكي، وعندما نهرته ليتحرك كالأسد الهصور كما فعل بالأمس، خرج صوته منافسا صوت الداعية عبلة الكحلاوي في السكينة والرحمة قائلا لها: «يا ستي ادعي له إن ربنا يهديه.. الإنسان لما يقى وحيد تتوقعي منه أي حاجة.. واحمدي ربنا إننا مع بعض»، وقبل أن تستوعب زوجته ما حدث رجاها أن تضيف إلى أسباب حمدها أن الله ألهمه النزول بكره إلى أقرب فرع قبنوري ليركب للبيت كله شبابيك عازلة للصوت، وعندما رفضت زوجته أن تحمد الله، اضطر أن يحكي لها مخاوفه المستمدة من أقوال الجيران، ففوجئ بها تقول له ساخرة بصوت كالفحيح: «عاش الرجالة الورق.. كده بقينا اتنين ولايا في الشقة»، ساب لها البيت غاضبا مجزوحا، وجاءني ليسألني زائغ العينين منكوش الإرادة: «تفتكر لو قتلت ابن الصرمة ده مش هالاقي محامي يخلص القضية إنها دفاع عن النفس؟».

# زبالة عزرائيل!

شـنتح نصبجي قهوتنا لا يكـف عن إدهاشـي بزاويتـه الخاصة في النظر إلى الأمور. شـنتح في العادة لا يتباسـط مع زبائن القهوة، ومبدؤه في ذلك الديدن أن الهزار مع الزبائن قلة قيمة من شـأنها أن «توخدهم عليه» وتشـجعهم على انتقاد حجارة المعسل عمال على بطال وطلب تغييرها بعد شدّ عدد لا بأس به من أنفاسها، وهو ما قد يؤدي في المدى البعيد إلى مصير مرعب للقهوة رسـمه في كلمات قاطعة الدلالـة: «نقفلها بقى ونفتح جمنيزيـوم ونقعد نرغي وندلّك في بعض».

ما أنا بمُشَـيِّش، ولذلك عندما جلس شـنتح إلـى جواري طافحا بالبِشْـر والترحـاب، أدركـت على الفـور أن وراء محلسـته المبتذلة مصلحـة غريبـة الأطـوار كعوايده، قبل عـام ونيف انتحـى بي جانبا وطلـب منـي هامسـا أن أنعم عليـه بنمرة موبايـل الممثلة السـورية نبيلة كرم، وعندما قلت له إنهم رحّلوها من مصر لأسـباب غامضة، اهتزت الماشـة في يده، وسـألني بذهـول: «ليه بس؟ هـي اللي زي

دي عمرها آذت حد غيري؟»، يومها لم يتماسك إلا بعد أن هدده المعلم بترحيله من القهوة لأنه أوقع النار على كذا زبون، بعد أن غادرت القهوة لحق بي وهو ينظر متوجسا إلى معلمه، ثم قال لي بجدية شديدة: «حصل خير يا باشا بس والنبي حاول تتصرف لي في موبايل نهلة سلامة».

كنت أظن أن شنتح قد استنفد رصيده من الدهشة عندي، إلا أنه وعلى حين غرّة شحن مخزون دهشتي بطلبه الجديد لانج: «الحكاية مش صعبة عليك يا باشا، ما تقوليش المرة دي ما عنديش موبايلات ممثلات، أنا خلاص ربنا هداني وبقيت باتفرج على مُزز أجنبي صح»، شخطت: «إخلص ياشنتح»، فهمس: «عايزين من أي حد من حبايبك بتوع الحوادث صورة حلوة ينفع تتكبّر للجدع أدهم البوشي اللي كاتبين في الجرايد إنه نصب على الجماعة الأغنيا وقلّبهم في مليارات وخلع على بلاد بره.. عشان اتفقت أنا والمعلم هنبروزها ونعلقها بدل صورة المعلم»، صدمتي من الطلب لم تجعلني أهتم بالبحث عن تفسير له بقدر اهتمامي بتذكير شنتح أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، وأن المتهم نفسه اسمه نبيل وليس أدهم، وضع شنتح لي الشيشة في فمه وأصدر صوتا غير لائق، على أساس أنه يسلك الشيشة، ثم قال لي: «متهم مين ياعم.. ده دكر من ضهر دكر.. واد ابن فقرا زي حالاتنا، رقّى نفسه لغاية ما دخل زي السبع وسط وحوش الغابة.. وقلّعهم الجلد والسقط وخبّا الخميرة في الزنقور، وكلها كام سنة ويطلع يخبز منها عيش سرايا يشبّعه

العمر كله.. أسد زي ده مين قال لك إني غلطان في اسمه.. نبيل ده اسم ما يليقش بيه.. اللي زيه كان لازم أبوه يسميه أدهم على اسم أدهم الشرقاوي».

كلام شنتح الذي سرى في القهوة سريان النار في الحجر، كشف لي أنني وكل من أعرف نعيش في دنيا غير دنيا شنتح؛ لأننا لم نر في ملف نبيل البوشي المتخم بالأرقام والأسئلة وأصابع الاتهام سوى كوم زبالة جديد في سبيله لأن ينضمّ «عادي جدا» إلى جوار إخوته في متحف زبالة الفساد المفتوح الذي شيّده الحزب الوطني على امتداد أرجاء الوطن، والذي لن تجدي مع أكوامه أبدا بلاغات الفساد التي ينهال بها قراء الصحف عليها كل يوم لسبب أوجزه شنتح نفسه، عندما قال ذات مناقشة خلت: «في زبالة يا باشا عزرائيل بس هو اللي بيشيلها».

شنتح والذين معه ليسوا على استعداد أبدا أن يتقبلوا رغبتك في مناقشة عقلانية من أجل التفريق بين سرقة أموال حرامية لا غبار في كونهم فاسدين يستاهلوا الحرق، وبين سرقة أموال أغنياء لا غبار على رغبتهم في تمنّي وادٍ ثالث من الذهب. «طب ما دام ملايين الدورارات دي رايحة رايحة.. مش كانوا يفرقوها على الغلابة اللي زي حالاتنا.. على الأقل كانوا خدوا بيها ثواب بدل ما ياخدوا..»، تنزل راديكالية شنتح على عقلانيتي فتُبطِّطُها وتدفعني إلى التزام الصمت المُطبق كي لا تلتصق بي على الفور اتهامات لن يزيلها عني إلا فعل فاضح أرتكبه بحق من أطلقها لكي أجبره على سحبها.

مشكورا قرأ شنتح رغبتي في الانسحاب فاحترمها ولم يَسُق فيها مراعاة لخيري على لحم أكتافه، واكتفى بأن يقف منتصب القامة في خط نُصّ القهوة طالبا من الحاضرين أن يقرءوا آية الكرسي «ابنيّة إن ربنا يُفُكّ سـجن البطل أدهم البوشـي، ويهنيه بكل دولار سفحه من اللي بيستخسروا الفلوس في الغلابة، ويجعل سجن دبي حنيّن عليه زي ما سجن مزرعة طرة حنيّن على هشام طلعت مصطفى».

**نُشِرت في صحيفة المصري اليوم/ ٢٠١٠**

# يدٌ برائحة الخراء!

أمه التي ماتت غضبانة عليه دعت في العشر الأواخر من رمضان أن يفضحه الله فضيحة القطط، لكن الله تعالى كان أشد غضبا عليه منها ففضحه فضيحة تهون إلى جوارها فضيحة القطط.

لو رأيته وهو يبكي بالدموع بين يدي أشهر أطباء الأمراض الجلدية في البلاد محاولا تقبيل قدميه لكي يشوف له حلا فوريا للكارثة التي حاقت به، لما صدقت أنه أهم رؤساء تحرير الصحف وأقربهم إلى قلب رئيس البلاد. «أبوس إيدك يا دكتور.. عندي معاد مع سيادة الريس بكره الصبح ولو دخلت عليه بالريحة اللي طالعة من إيدي دي هيضيع كل اللي عملته في حياتي.. مستقبل عيالي بين إيديك يا دكتور». الطبيب غالب قرفه من الرائحة الشنيعة ثم غالب ذهوله من عدم وجود مسببات عضوية لها، ثم غالب رغبته الملحة في الشماتة، وبعد أن غُلُب حماره لم يجد بدا من نطق الجُملة اللعينة التي لا يتمنى مريض سماعها أبدا من فم طبيب: «عملنا اللي علينا والباقي على ربنا»، وعندما انهار رئيس التحرير على أرض العيادة

اضطر أن يمد له حبل الأمل قليلا وينصحه بالذهاب فورا إلى طبيب نفسي شهير، وعندما قال له رئيس التحرير وهو ينهنه إنه لا يستطيع أن يذهب إلى هذا الطبيب تحديدا لأنه فاتح على المعارضة، واصل ذو الجلدية جدعنته وأجرى عدة اتصالات حتى توصل إلى طبيب نفسي بارع و «ما لوش في السياسة»، وفور خروج رئيس التحرير جاريا صوب الأمل، غالب طبيب الجلدية رغبته الدنيئة في تناسي سطور قَسَم أبقراط والتسييح لمريضه، ثم قرر أن يتقي الله ويكتفي بمشاطرة زملائه من أطباء الجلدية في الحالة العلمية الفريدة التي عاينها للتو، والتي قد تصلح موضوعا لبحث ترقية عنوانه «كيف تنبعث رائحة الفضلات من يد آدمية سليمة عضويا؟».

على شيزلونج الطبيب النفسي وبعد ساعتين من النخربة في ماضيه وأحلامه وعلاقاته الجنسية، اضطر لأن يقاطع الطبيب مذكرا بأن الوقت ليس في صالحه، خاصة وقد زادت حدة الرائحة بعد كل ذلك الرغي، والطبيب صمت قليلا ثم رجاه أن يتحمل صراحته خاصة أنه سيضطر لأول مرة أن يتكلم في السياسة، وقبل أن يستوعب رئيس التحرير معنى الجملة الأخيرة بادره الدكتور شارحا أن ما حدث له حالة نادرة لكنها مذكورة في كتب الطب، سببها عقدة ذنب كامنة بدأت تتفاعل بداخله منذ اللحظة التي انقلب فيها على ماضيه وسخّر قلمه لنفاق الرئيس والخوض في أعراض معارضيه، لم يستطع الصبر طويلا على توصيف الطبيب فقاطعه بحدة: «طب والحل يا دكتور؟!»، والطبيب اضطر أن يجري للحظة وراء إفّيه ألح

عليه قائلا: «مش معقول يعني تقطع إيدك»، قبل أن يعتذر له عن عدم اللياقة ويقترح عليه إجراء تطهيريًا يزيل الرائحة قبل شروق الشمس، ورئيس التحرير هتف بعزم ما فيه: «أبوس إيدك الحقني بيه».

عندما دخلت زوجته إلى مكتبه وش الفجر لتطمئن عليه، نجحت للحظات في إظهار أنها لا تشم شيئا مساندة له، لكن مقاومتها انهارت فورا وغادرت الغرفة مسرعة قبل أن تدرك أنه حتى لحظة دخولها لم يكن أبو عيالها قد كتب سطرا واحدا من المقال العلاجي الذي اشترط الطبيب تقديمه لسيادة الرئيس في الغد، يده لم تطاوعه أن يقتطع فقرة واحدة من كل ما يختزنه من ركام وقائع الفساد والنهب المنظم والعمولات والصفقات والفضائح، وفيما كانت يده عاجزة عن الحركة على بياض الصفحة كانت عقارب الساعة تجري أمام ناظريه باتجاه موعده التاريخي، تسابقها رائحة يده الكريهة التي كلما ازدادت نفاذا ازداد معها وضوح صورة الخراب الذي سيحيق به عند دخوله على الرئيس، سواء بمقاله التطهيري، أم برائحة يده النجسة.

الشيطان وسوس إليه أن يختبر حل الطبيب أولًا قبل أن يتخذ قراره، وعندما كتب فقرة واحدة فقط عن امتياز مناجم الفوسفات الذي حصلت عليه مؤخرا شركة أجنبية بعد أن دفعت الذي فيه القسمة، فوجئ أن الرائحة خفّت فورا، ليتأكد له صدق الطبيب ويصبح أمام اختيار تاريخي لم يجابه مثله أبدا، وبعد أن قرأ ما بقي في وجدانه من أذكار الصباح، اتخذ القرار وتوكل على الله.

وفي الصباح عندما دخل إلى مكتب الرئيس منشرح الصدر منفرج الأسارير مرفوع الرأس، أصيب الرئيس بالذهول، وصرخ في كاتبه المقرب: «يا نهار أسود.. إيه اللي حصل؟! مين اللي قطع إيدك؟».

نُشِرت في صحيفة المصري اليوم/ ٢٠٠٩

# من حكايات ياسمينة

ياسمينة طفلة جميلة، من بين كل قنوات الأطفال تحب قناة نيكلوديون، ومن بين كل أبطال الكارتون تحب «سبونج بوب» لدرجة أنها تحفظ نصوص حواراته التي تمت دبلجتها باللغة العربية الفصحى ثم تعيد إنتاجها في حياة الأسرة اليومية لتثير بهجة الأسرة التي لم تكن تعلم أي مصير مجهول ينتظرها بسبب تلك الموهبة اللعينة.

لم يكن أحد يدري من أفراد العائلة لماذا قررت ياسمينة أن تتقمص شخصية سبونج بوب دونا عن ميكي ماوس أو دورا أو ابن بلدها بكار. والدها توصل إلى تفسير لذلك بعد طول تأمل؛ هو أن قدرة ياسمينة الرهيبة على التقاط كل ما يدور حولها من تفاصيل، جعل هناك قاسما مشتركا بينها وبين البطل الإسفنجي «سبونج بوب» باعتبار أن أكثر ما يميز الإسفنج هو قدرته الرهيبة على الامتصاص، الأب كان سعيدا جدا بتفسيره، لدرجة أنه غضب

بشدة عندما قالت له زوجته إنه تفسير ساذج، وإن ابنته لا تمتلك أي قدرات خارقة؛ فكل الأطفال في هذه السن «بيلقطوا بسرعة»، ولأنه كان عَيِّلا أكثر من ابنته، فقد اضطرت الزوجة لأن تراضيه زاعمة أنها لم تكن جادة فيما قالته، بل كانت فقط تخزي عين الشغالة التي كانت موجودة في البيت وقت تَوصُّله إلى التفسير المذهل.

لم يظل الأب طويلا على القدر نفسه من الحماس لموهبة ابنته في حفظ حوارات «سبونج بوب»؛ بدأ الأمر عندما اصطحب أسرته إلى رحلة نظمتها الشركة، وعندما أخذ يُعرّف زوجته على رئيسه الأستاذ عزمي هتفت ياسمينة فجأة مشيرة إلى صلعة رئيسه «انظر يا أبي.. إنه يشبه رأس البطيخة»، فلنحمد الله أن الأستاذ عزمي أخذ الأمر بروح رياضية أو لعله كان مضطرا لذلك لكي لا يقال إنه عمل عقله بعقل طفلة وعندها سيكون قد استحق فعلا وصفه بالأبله. منذ ذلك اليوم لم يعد الأب يصطحب ياسمينة في أي مناسبات عامة «لغاية ما تكبر وتعدّي السن الصعبة دي»، ظن الأب أنه حل المشكلة بذلك القرار التعسفي، فجاءت أم المشاكل إلى عقر داره، عندما زارتهم حماته القادمة من المنيا بعد طول انقطاع، على الباب وقفت الجدة فاتحة ذراعيها في انتظار أن ترتمي ياسمينة في حضنها، لكن ياسمينة قررت فجأة أن تتقمص دور «سبونج بوب» لتهتف مشيرة إلى الجدة: «أبي.. انظر إنها العجوز الشمطاء»، أفلتت ضحكة تلقائية من فم الأب، نال عليها زغرة مخيفة من زوجته، فشخط في ياسمينة بعزم ما فيه: «إزاي تكلمي تيتا حبيبتك كده؟»، وياسمينة قالت ولكن بالعامية هذه المرة: «إنت مش كنت إمبارح

بتقول لعمو كمال في التليفون مش عارف حماتي بتجيب الرخامة دي منين؟». ربما لو لم تكن الجدة واقفة وقد تجمدت من الذهول، لاحتضن الأب ياسمينة بحب وقد أدرك أن «البنوتة كبرت خلاص»، لكن مستقبله كان على المحك، وكان لا بد أن يدافع عن نفسه بكل ما أوتي من قوة وقدرة على الكذب. فين وفين، حتى تم إقناع الجدة أن ياسمينة لديها قدرات تخيلية خارقة تجعلها تتصور أن ما يحدث في الأفلام العربي يحدث في الواقع، وأن الحل هو عدم السماح لها بالفرجة على الأفلام العربية، بما فيها أفلام الأبيض والأسود وعلى رأسها فيلم حماتي قنبلة ذرية، الجدة بلعت التفسير بمزاجها؛ لأن البديل كان أسوأ بكثير، لها ولابنتها.

على أي حال، لم يكذب الذي قال يوما: احمدوا الله على السيئ، فالأسوأ قادم. لكن من كان يتخيل أن رحلة الأسرة إلى سويسرا والتي ظنتها الأسرة رحلة العمر ستحمل لهم ذلك الأسوأ؟ ياسمينة كانت سعيدة لأنها ستركب الطائرة لأول مرة، وأمها كانت خائفة لنفس السبب، لن تلومها إذا عرفت أنها قضت ليلة السفر تبحث في جوجل عن أهم أسباب كوارث الطائرات واطمأنت عندما لم تجد شركة الطيران التي سيسافرون عليها مرتبطة بأي كارثة خلال نصف القرن الماضي، أما الأب فقد كان سعيدا لأنه أخيرا سيسافر إلى سويسرا التي طالما حلم بأن يكون له فيها حساب مصرفي سري يُهَرِّب إليه كل أمواله كسائر الحيتان الذين لن يكون بوصفه «بسارياية» مثلهم أبدا.

ظنت الزوجة ابتسامات زوجها العريضة ثقة في الله، وظن الزوج أن وجومها خشوع، وياسمينة هي التي وقفت فجأة لتكسر حاجز الصمت وقد تقمصت دور «سبونج بوب» وأخذت كعادتها تخاطب رفيقه الدائم (شفيق) بأعلى صوتها: «شفيق.. هيا بنا نُفَجِّر القنبلة»، لو قالتها مرة أو حتى قالتها هامسة لهان الأمر، لكن عندما تقولها خمس أو ست مرات بأعلى صوتها، عندها لن تلوم الأب إذا نط من كرسيه ليضع يده على فم ابنته بعصبية، زوجته في البدء لم تفهم سر قفزته المفاجئة، دفعت يده بعيدا عن فم البنت وصرخت فيه: «حرام عليك.. سَرَعت البنت.. في إيه؟»، وياسمين المستمرة في تقمص دور «سبونج بوب» الناطق بالفصحى قررت أن تتوقف عن مخاطبة شفيق وتخاطب والدها مباشرة ولكن بصراخ هستيري متواصل: «أبي.. أبي هيا بنا نفجر القنبلة»، لطم الأب على وجهه وصرخ في الأم هذه المرة: «مش سامعة بتقول إيه.. هتجيب لنا مصيبة.. هيفتكرونا إرهابيين»، استوعبت الأم الموقف أخيرا، نظرت مرعوبة إلى ياسمينة التي استمرت في ترديدها الهستيري للجملة، قررت الأم أن تلجأ إلى أقوى أسلحتها؛ إيمانها بالله، فبدأت تُكَبِّر في أذن ابنتها، وهكذا يا سادة، رأى طاقم الطائرة وأكثر من عشرين راكبا أغلبهم من الخواجات طفلة عربية الملامح تصرخ قائلة: «أبي هيا نُفَجِّر القنبلة»، وسيدة محجبة تقول: «الله أكبر» وهي ترتعش من التوتر، وأبا ينظر بنظرات زائغة للجميع، فأيقن الجميع أن ساعة النهاية قد حلت، وعندما تأخر الانفجار، ظن الجميع أن

معجزة قد حدثت وأدت إلى تعطل فجائي لصاعق القنبلة، وسارعوا إلى استدعاء ضابط الأمن المتخفي الذي يصاحب كل الطائرات منذ يوم الحادي عشر من أيلول.

الأب بعد كوووووول «البهدلة» التي شافها في ذلك اليوم، اكتشف أنه عاجز وقليل الحيلة بصورة لم يكن يتخيلها، وكل الذي استطاع فعله بعد عودتهم إلى البيت، هو أنه قطع سلك الدّش فورا.

## آس مان!

هل كانت تشنيعة راح الرجل ضحية لها؟ أم كانت واقعة حقيقية تستحق أن تدرج في كتب العجائب؟ لا أحد يدري بالضبط، ولا أحد حتى يدري منذ متى ارتبط برئيس تحرير الصحيفة الحكومية ذلك اللقب المهين الذي بات الجميع يطلقونه عليه، «آس مان (ass man)»، دون أن يبادر أحد حتى لترجمة اللقب إلى العربية الفصحى، لكن الذي يدريه الجميع وهم متأكدون منه أيضا أن اللقب كان لائقا عليه تماما.

كالعادة؛ غالى البعض في التشنيع فقال إن حكاية رئيس التحرير مع لقب «آس مان» بدأت عندما صحا يوما من النوم وأخذ طريقه المعتاد إلى الحمام، و عندما نظر في المرآة فوجئ أنه ينظر إلى مؤخرته، ظن نفسه حالما في البداية، لكنه بعد أن أمعن النظر تأكد له أنه لم يكن حالما ولا واهما، حتى زوجته وأبناؤه أكدوا له وهم منهارون في البكاء أنهم يسمعون صوته يأتيهم من تحت، وهو

أصر أن يذهب إلى مكتبه في موعده المعتاد ليتأكد أنه لا يعاني هو وزوجته وأبناؤه وخدمه وحرسه وسائقوه من حالة ضلالة جماعية كالتي حكى له عنها أستاذ الطب النفسي الشهير الذي يكتب في جريدته، وفي مكتبه فوجئ أن الكل تعامل مع ما حدث له على أنه أمر واقع، ووصلت إليه ضحكات حساده الشامتة المصحوبة بقولهم إن ما حدث يدل على أن الطبيعة تصحح أخطاءها، بعدها بأيام وعندما وصل الخبر إلى حاكم البلاد الذي كان يحبه ويقربه إليه، انهار رئيس التحرير تحت قدميه طالبا منه أن يرسله للعلاج في الخارج على نفقة الدولة ليعيد رأسه إلى مكانها، والحاكم قال له ضاحكا من قلبه: «وليه بس؟ ما تخليك كده.. أنا بقيت باحس بيك أكتر».

بالطبع لم تكن تلك الحكاية بكل تفاصيلها التي قرأتها الآن سوى تشنيعة حقيرة من نفوس دنيئة وإلا لكنا قد لاحظنا نحن مع سائر المواطنين ذلك التبدل المزعوم كلما أطل صاحبنا بوجهه في البرامج التلفزيونية الحكومية أو الفضائية التي يحب حاكم البلاد أن يراه فيها مدافعا عن سياساته، أو حتى عند مرافقته للحاكم في زياراته التاريخية التي كان «الآس مان» يلعب فيها دور النديم بإجادة ظلت دائما موضع حسد أقرانه. لكن أيعني ذاك أن الحكاية برمتها لا أساس لها من الصحة؟ بالطبع لا، فما كان لنا أن نشير لها لو كانت مجرد لغو مبتذل من ذلك الذي يتناقله الناس بينهم فشًّا لغلِّهم وتعويضا عن عجزهم.

الحكايـة ومافيها أن رئيس تحريـر الصحيفة الحكومية صحا من نومـه ذات صبـاح قريب على آلام موجعة في رأسـه ظنها في البداية صداعا حادا سيروح لحاله، ثم لما لازمه الصداع طيلة اليوم والأيام التـي تلته، وبدأ يؤثر على أدائه الترفيهي مع حاكم البلاد الذي سـأله أكثـر من مرة أمام الناس «ما لك مش علـى بعضك ليه؟ تحب تريّح شـوية؟»، فاضطـر صاحبنا لزيـارة أكبر أطباء المـخ والأعصاب في البلاد سـرا، وأجرى الفحـوص والتحاليل اللازمـة التي بُعثت على عجـل إلـى أكبر معامل لنـدن وباريس لتكون النتائـج تحت تصرف كونسـلتو تـم تشكيله بعناية مـن أطبـاء ذوي تخصصـات مختلفة، وعندمـا جـاء موعد إعلان نتائج عمل الكونسـلتو، وبعـد أن كادت روحه تزهق من ألم الصداع ورعب الانتظار، فوجئ بالطبيب الشهير يقول له مترددا إنه لا يعرف كيف يصارحه بنتيجة ما توصلوا له، كاد «الآس مان» يهوي من رعبه، لكنه خشـي أن يكون أعداؤه قد دسـوا له كاميرات سـرية، فتماسك سريعا من باب الاحتياط وقال للطبيب وهو يُحكم قبضته على مخارج حروفه: «قدامي قد إيه عشان أموت يا دكتـور؟»، لكنه فوجئ بالدكتور يقـول له: «لا إنت هتعيش كتير.. كل وظائفك الحيوية زي الفل»، فغر «الآس مان» فاه سـائلا: «أمال الآلام الفظيعـة دي سـببها إيه يا دكتـور؟»، والطبيب صمت طويلا، لكنـه اضطر لمصارحة صاحبنـا بعد أن ألح عليه وكان على وشـك أن يريـه العيـن الحمـراء، فقال له الطبيـب بعد أن طلـب منه الأمان أن «نتائج مداولات كونسـلتو الأطباء الذي اسـتعان بمشورة زملاء

مـن خارج البـلاد تؤكد أننا بصدد معجزة طبيـة فريدة وهي أن رأس سـيادتك أصبحت فجأة تؤدي جميع وظائـف المؤخرة»، والطبيب اندهـش أن «الآس مـان» لم يصـرخ فيه لكي يخـرس أو ينهال عليه ضربـا وركلا، بـل سـأله بصـوت مبحـوح وكأنـه اتخذ قـرارا فوريا بالتعايـش مـع الواقـع: «طيـب الآلام الفظيعـة اللي فـي دماغي دي تفسـيرها إيـه؟»، والدكتـور جاب له مـن الآخر وقال: «يـا فندم دي آلام بواسير».

**نُشِرت في صحيفة المصري اليوم/ ٢٠٠٩**

# حلم البكباشي يوسف صديق!

استيقظ البكباشي يوسف صديق من نومه مفزوعا صارخا بعزم ما فيه: «لأ بلاها أحسن».

جرت زوجته لتحضر له كوبا من الماء وهي تقرأ آية الكرسي والمعوذتين وتسأل الله الستر والعافية. ناولت زوجها كوب الماء وأخذت تنظر إليه وهو مبهور الأنفاس زائغ العينين، سألته وهي تطبطب عليه: «مالك يا حبيبي؟ طمني عليك.. في إيه كفى الله الشر؟». هز رأسه دون أن ينطق وقد قرر أن يكتم عنها ما رآه في منامه. وهي اختارت ألا تلح عليه وقالت له: «مش عايز تحكي بلاش.. المهم استعذ بالله من الشيطان الرجيم واهدا كده.. إنت محتاج تنام عشان وراك ثورة.. لسه فاضل أربع ساعات على معاد صحيانك.. ده أنا كنت سهرانة كل ده باصلي وأدعي إن حركتكو المباركة تنجح وتكسّر الدنيا بإذن الله».

لم تكن تعلم أن كلامها ينزل عليه كالسكاكين، كانت تظنه

متهيبا مما أسنده إليه رفاقه من دور خطير، أخذت تقول له: «أنت قدها وقدود يا يوسف.. ومصر كلها أملها فيك وفي اللي معاك.. ما أنت شايف البلد واللي عمله فيها الملك ربنا ينتقـ...»، فوجئت به يصرخ فيها: «ما هو ده اللي راعبني»، بادرته وقد زاد قلقها عليه: «هو إيه اللي راعبك يا يوسف؟»، أخذ نفسا عميقا وأكمل شرب كوب الماء وقرر أن يشاطرها همه: «مرعوب من الكابوس اللي شفته»، قالت ملهوفة: «شفت إيه؟ إحكِ لي»، ثم استدركت وذكّرته بأن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ويبصق على ذراعه اليسرى ثلاثا كما علمتها أمها، ثم أخذت تستمع إليه وهو يرتجف من هول ما رآه، وقد صارت هي بدورها ترتجف من هول ما يحكيه.

«شفت نفسي أنا وجمال وحكيم وخالد وزكريا وحسين وصلاح وجمال سالم وأنور والبغدادي وكمال حسين وكل اللي معانا في الضباط الأحرار، وإحنا عواجيز أوي، يعني كل واحد فينا يجي عنده بتاع ثمانين سنة مثلا، بس كنا لابسين البدل العسكرية بتاعتنا وعليها نياشين وأوسمة كتير، وداخلين قصر عابدين اللي كان فيه زي ما يكون كده حفلة كبيرة أوي، ما كناش نعرف حد من اللي حوالينا، بس كلهم كانوا بيعاملونا باحترام، وبيسقفوا لنا جامد، وعمالين يقولوا أهلا بأبطال الثورة، لما سألنا عن الحكاية عرفنا إن دي حفلة تنصيب ريس جديد للبلد، قالوا لنا إن ده الريس الخامس للجمهورية، كلنا فرحنا لما سمعنا كلمة الجمهورية، قلنا يبقى اللي عملناه نجح والملكية سقطت والحمد لله، بس بعد لحظة أنا استغربت لما سمعت كلمة الخامس، مَيّلت على خالد

محيي الدين وقلت له: الريس الخامس إزاي، ده إحنا عجّزنا أوي، يعني فات على الثورة يجي ستين سنة مثلا، يعني كل ريس حكم له بتاع خمستاشر سنة، يبقى إحنا عملنا إيه بقى؟ وهو نظر إليّ مستغربا وقال لي: يا أخي إنت بتركز في حاجات غريبة أوي، مش لما نشوف الأول مين اللي حكموا البلد وعملوا فيها إيه ومين اللي هيحكمها دلوقتي. فجأة لقينا أنور جاي علينا ويقول لنا: تخيلوا سمعت ناس بيقولوا إن اللي هيحكم هو الشاب اللي هناك ده. أنا فرحت وقلت له: الله ده شاب من دورنا، قصدي من دورنا لما عملنا الثورة، جمال قال له: بس ده لازم شاب فلتة عشان الناس تحتفي بيه كده، أنور كتم الضحكة وقال له: فعلا؛ أصله ابن الريس. وكلنا قلنا: مش معقول؛ يبقى إحنا كده عملنا إيه؟! كان في واحد واقف جنبنا سمع اللي قلناه قعد يشرح لنا إننا فاهمين الموضوع غلط، وإن دلوقتي في انتخابات والشعب هو اللي بيختار بمحض إرادته ومن غير ما حد يضغط عليه. وطلب مننا نروح عشان نتعرف عليه، أنا قلت ماليش في الكلام ده طالما الشعب هو اللي بيختار، أنا أسمع رأي الشعب أحسن. طول الوقت كان في جرسون بيبص لنا بشكل فظيع كأنه مش طايقنا، رحت سألته: إنت يا أخينا أنا مش طالب منك قهوة بقى لي ساعة؟ طب أنت مش طايقني هات لي القهوة، لقيته بيقول لي: أنا آسف يابيه، إنت مالكش ذنب، أنا متغاظ من الجماعة اللي معاك، كلامه كان غامض حبتين قعدت أنكش فيه وأقرره عايز أعرف منه حال البلد بقى عامل إزاي، ويا ريتني ما سألت، الواد قال لي وهو هيموت من القهر: من ساعة ما شلتوا

الملك بقى كل واحد ملك على اللي تحت منه بيطلع في عينه ويستبد بيه.. زاد عددنا وقلّت قيمتنا.. الفقر زي ما كان على أيام الملك يمكن باستثناء إن ما عادش في حد بيمشي حافي، بس لو فضل الحال كده مش بعيد يرجع الحفاء تاني، التعليم بقى ألعن من أيام الملك، تخيلي، الإخوان المسلمين بقوا المعارضة بعد ما كانوا بتوع القصر، المسلمين والمسيحيين مش طايقين بعض، وكل واحد فيهم بيقول البلد دي بتاعتنا، العيب في الذات الملكية بقى اسمه تهمة إهانة الرئيس، والإقطاعيين بقى اسمهم كبار المستثمرين، والفاسد يشيلوه من الوزارة يدوا له بنك ولا شركة بترول، إسرائيل بقى ليها سفارة في قلب مصر، والمصري ما عادش بيموت في بلده بقى بيموت وهو بيسيب بلده، وبدل ماكنتو عايزين تقضوا على الاحتكار، الاحتكار هو اللي هيقضي علينا، والحياة الديمقراطية السليمة اللي قلتوا عليها رسيت على اللي أنت شايفه... صحيت من النوم مفزوعًا وأنا باقول: لأ بلاها أحسن.. لأ بلاها أحسن».

... ولما حان موعد ذهاب يوسف صديق إلى وحدته العسكرية ليؤدي مهمته المرتقبة، كان قد انتهى من صلاة الاستخارة وسلم أمره إلى الله عز وجل، التفت فرأى زوجته غارقة في همها، فذهب إليها ليخفف عنها قائلا لها: «بقى كل ده عشان حلم؟ يا ستي ده أنا نسيته بعد ماحكيتهو لك»، فقالت له: «وهو ده كابوس يتنسي.. افرض اللي قالك الشاب إنه هيتعمل فيك حصل فعلا!!»، قال لها بابتسامة مَنْ تخلص من قلقه: «قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا»، فقالت له وكلها رجاء ألا ينزل: «طب والبلد؟!»، فقال لها وهو

يغالب قلقه: «يا ستي إحنا نعمل اللي علينا وخلاص»، فواصلت قائلة: «يعني معقولة بعد كل اللي هتعملوه يمكن البلد ترجع ملكية تاني؟»، فقال لها مبتسما راضيا: «يا ستي لو كان ده اختيار الشعب يبقى يدفع ساعتها تمن اختياره».

خرج يوسف صديق من بيته، وبعدها مباشرة صحوت أنا من النوم مفزوعا وعندما صرخت لم أجد صوتي.

**نُشِرت في صحيفة المصري اليوم/ يوليو ٢٠٠٩**

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

# كان لنا مونديال!

أجمل ما في الأحلام أنها مجانية؛ ولذلك حتى أنا كنت أحلم يوما ما بأن أصير لاعب كرة قدم شهيرا.

في صباي المبكر (إذا استغربت التعبير يهمني أن تعلم أنني أدّخِرُ صِبا متأخرا لأعيشه إذا أمدَّ الله في عمري وبلغت الستين) كانوا يلقبونني بالتمساح الطائر؛ لأنني كنت دونا عن كل رفاق طفولتي أكثر المؤهلين لاحتلال مركز حارس المرمى، فقد كنت أسدُّ نصف مساحته بجسدي الضخم، وكان مطلوبا مني فقط أن أكتسب المهارات الكافية لتحريك جسمي بالسرعة الكافية لحراسة ما تبقى من فراغ المرمى، وهي مهارات اكتسبتها في وقت قياسي أدهشني، والفضل لتلك الفتاة الجميلة ساحرة العينين كلبوظة الخدين عارية الذراعين التي كانت تراقب ماتشاتنا من بلكونتها المطلة على «الوسعاية» التي كنا نلعب فيها الكرة، ونتبادل بين الماتشات ما تيسّر من أعداد مجلات «الشبكة» و«سمر» و«الموعد»؛ فقط لنشعر بانتصارات لم نكن نحققها أبدا في أرض الملعب.

تقتضي الأمانة أن أنبهك إلى ألا تسرح بخيالك فتظن أن المرمى كان مرمى بحق وحقيق، هو لم يكن سوى حجرين كبيرين يتم وضع أولهما في نقطة معينة، ثم يقوم «سيد أبو شخة» بعَدّ أربع خطوات يتم بعدها وضع الحجر الثاني، قبل أن ينتقل سيد إلى الطرف الآخر من الوسعاية لتكرار ما قام به دون أن يشك أحدنا في ذمته أو يراقبه عن كثب كما كان يحدث عندما يغيب سيد ونضطر لاختيار شخص آخر لإنجاز تلك المهمة التي تتوقف عليها نتيجة الماتش، اختيار سيد كان توافقيا بين جميع المتنافسين؛ لأنه بغض النظر عن اسمه المنحط كان أقصرنا جميعا، مما يعني أن المرمى لن يكون واسعا أكثر من اللازم، كما أنه كان أشطرنا في الحساب وأضيقنا ذمة وأوسعنا صبرا، وإذا دفعتك كل تلك المميزات لكي تسأل عن سر اسمه، أو تظن أننا أطلقنا عليه هذا الاسم المهين انتقاما من تفرده بتلك المميزات، فلك أن تعلم أنه استحق اسمه عن جدارة بعد واقعة شهيرة حدثت عندما أحرز هدفا للمرة الأولى في تاريخ اشتراكه في اللعب معنا، ولم يكن أي هدف والسلام، فقد «رقّص» سيد قبل إحراز هدفه ثلاثة لاعبين على رأسهم أكرم الشاكوش الذي نال لقبه عن جدارة لتلذذه بتكسير أقدام كل من يقترب منه، وبعد أن توجه سيد إلى ركن الوسعاية وهو يهلل طربا ويرقص فرحا، فوجئنا به يتوقف بغتة عن ممارسة طقوس الفرحة، لم نفهم السر إلا بعد أن ربطنا بين ملامح وجهه الخَجِلة والبركة الصغيرة التي تتكون تدريجيا بين قدميه والتي بدا بعد تمعُّن أنها تنبع من أعلى قدميه وتصب في أرض الوسعاية التي سقط عليها على

الفور أكثر من عشرين صبيا منفجرين من فرط الضحك الذي كاد يميت بعضهم وهم يشاهدون سيد يهرول باتجاه بيته وهو غارق في سوائل شتى تخرج من أماكن متفرقة من جسده، بعضها من وجهه، ولن أُفَسِّر أكثر من ذلك.

كان ذلك هو الهدف الأول والأخير الذي أحرزه سيد الذي اتضح أن لديه مشكلة في السيطرة على انفعالاته خصوصا عندما يفرح؛ لذلك أجبرناه بعدها على اللعب كـ«مسَّاك»، ومع ذلك لم يستطع مسك نفسه من فرط فرحته بعد أول هدف أحرزه فريقنا ذات ماتش مصيري كنا نواجه فيه فريقا شرسا من حارة أخرى، وهو فريق لن أتمكن لأسباب أخلاقية من ذكر اسمه، مع أنه كان اسما أطلقه أفراد الفريق على أنفسهم بصدق مع النفس يحسدون عليه، يكفي أن أقول لك إنه اسم يمس أُسَرهم وبالتحديد أمهاتهم، حاولنا كثيرا أن نفهم السبب الذي يجعل الإنسان حتى لو كان في سن منفلتة يتطوع بإهانة أمه عيانا بيانا، وفشلنا في الفهم، لكنني عندما كبرت ودرست علم البلاغة اكتشفت أن ما قام به أولئك الأوغاد بحق أمهاتهم كان تعبيرا مجازيا يهدف إلى إيصال رسالة تخويف إلى المنافسين بأنهم سيواجهون أناسا لا يهمهم أحد، حتى أمهاتهم.

المهم أننا يومها اضطررنا لتحمُّل احتضان سيد لنا وهو غارق في فرحته وسوائله، فقط لكي نحافظ على تماسك الفريق، وبعد أن انتهى الماتش بهزيمتنا من فريق أولاد الكذا جلسنا مع سيد وأفهمناه بصنعة لطافة أن مستقبله الكروي محكوم عليه بالفناء؛ لأن أي فريق

لن يستطيع تحمُّل عبء غيابه كلما أحـرز الفريق هدفا يفرح بعدها سيد ثم يسارع إلى بيته لتغيير بنطلون الترينج والعودة ثانية.

ومن يومها كلمـا رأيت هدافا يجري إلى ركن الملعب ليعبر عن فرحتـه الغامرة بهدفـه، أقول له في عقل بالي: احمـد ربنا أنك كنت محظوظا فلم تُصَب باللعنة التي أُصيب بها سـيد المسّاك، أو بمعنى أصح سيد الذي كان ذات مرة مسّاكا.

* * *

وما هي لازمة الإحراج بس يا أخي؟ حبكت يعني أن تسألني عن اسـم الفريق الذي كنا نلعب فيه في الوسـعاية؟ عندك حق! بالتأكيد سؤالك بريء؛ فأنت لا تعرف حساسية الموضوع بالنسبة لي ولكافة أفراد الفريق.

نعم، كنا صغارا جدا، في التاسـعة من عمرنـا المديد، ومع ذلك كانت فلسـطين هـي القضيـة المركزية بالنسـبة لنا، لذلـك قررنا أن نسـمي فريقنا «فريق الفاتحين»، وهو اسـم لم يلازمنا أكثر من ثلاثة ماتشـات هُزِمنـا في كل ماتش منهـا هزيمة تختلف عن سـابقتها في كونهـا أشـد خزيا وهوانا، لكي أضعك في الجـو يكفي أن تعرف أن أكثر هذه الماتشـات شرفًا بالنسبة لنا انتهت نتيجته ٢٤ / ٣، لصالح الفريق الخصم طبعا، مع أنه كان فريقا واقعيا جدا في اختيار اسـمه، كان اسـمه الأهلي يا سـيدي، وبالمناسـبة لم أكن أحتاج إلى تجربة مريرة كهذه لكي أصبح أهلاويا، فقد وُلدت كأي طفل طبيعي يتعلم

فـي أولى ابتدائي تلك الجملة التي يتمنى كل الزملكاوية حذفها من مناهج التعليم «أنا أحب أهلي».

نسيت أن أقول لك إن هدفين من الأهداف الثلاثة التي أحرزناها أدخلهـا مدافعو فريق الأهلي في أنفسـهم، ربمـا زكاة عن عافيتهم، أو ربما لتحسـين شـكل النتيجة وجعلها أكثر واقعيـة لكي يصدقهم من سـيحكون لـه عما حدث، حتى الهدف الـذي أحرزناه فعلا جاء من كرة خبطت بالصدفة في مؤخرة رأس حربتنا أشـرف غزال الذي كان منكفئـا على ذاته أمـام مرمى الخصم يحاول ربـط حذائه الذي ذلّ أبداننـا بـه منذ أحضره له والده من مدينة «تبوك» السـعودية التي كان اسمها بالنسبة لنا مثيرا للرهبة والإجلال، منذ قال لنا أشرف إنه عندما سـأل أمه بعد أشـهر من سـفر والده إلى تبوك: «هو بابا بيعمل إيـه فـي تبوك يا مامـا؟»، لم تجد إجابـة أكثر إقناعا مـن أن تقول له: «بابـاك مـع الصحابة في تبـوك ياحبيبي». وحكاية تبـوك هذه بغض النظر عن الكوتشـي الذي جاء منها، كانت سـببا فـي جعلنا نختص أشـرف بموقع رأس الحربة برغم ضعـف نظره، وجاء الهدف الذي أدخله أشرف بالصدفة دليلا على بُعد نظرنا في الاعتقاد بأنه سيكون بركة للفريق، كان ذلك قبل أن يغرق الفريق ورأس حربته في «بِركة» مـن الهزائـم النكـراء جعلتنا نبـادر طواعية إلـى تغيير اسـم الفريق، والفضـل فـي ذلك يرجع إلى سـيد المسّـاك الذي برغم أنـه لم يعد مسّـاكا على الإطلاق (بـل تحول إلى مراقب عـام للمباريات، وفي بعـض الأحيان إلى حكم بديل عندمـا يقوم لاعب متحمس بضرب الحكم الأصلي في مكان حسـاس) لكنه لم يفقد تعاطفه مع الفريق

ولا إيمانه بقضيته، ولأنه كان أبعدنا نظرا فقد حذرنا بعد آخر هزيمة من أننا يمكن أن نتعرض في أي لحظة للسخرية من اسم الفريق فيتم تسميته مثلا «فريق المفتوحين»، فنجلب العار ليس لأنفسنا بل للقضية النبيلة التي كنا نود بصدق أن نشرفها، لكننا لم نستطع، فقررنا الاكتفاء بشرف المحاولة.

بعد طول تفكير، اقترحت على رفاقي الفاتحين بالنيات أن نختار للفريق اسما لشخصية تاريخية جليلة لا يجرؤ أحد على السخرية منها أيا كان ثقل الهزيمة التي سنشيلها، بعد خلافات عميقة اخترنا اسم طارق بن زياد، ليس عن دراية عميقة بتاريخ الأندلس بل لأن صاحب الكرة التي كنا نلعب بها كان اسمه طارق، والاسم لم يعمر معنا طويلا؛ لأن الكرة خرجت عن مسارها ذات يوم وحطمت زجاج نافذة الأسطى محسن النجار، ومع أنها حطمت نافذة بيته لا ورشته، إلا أنه اتضح أنه يعشق عمله كثيرا، فقد كان يحتفظ بمنشار في البيت، وقام بنشر الكرة أمام أعيننا وسط انهيار صاحبها الذي اتضح أن الكرة لم تكن له أساسا، بل كان يؤجرها من جاره مقابل عدد من مجلة سوبر ميكي في كل مرة، وهو ما لم يكن يشكل عبئا ماديا عليه، لأنه كما اعترف لنا كان يختلس المجلدات من محل والده بائع الكتب المستعملة، واعترافه انتهى بسؤال وجيه جدا: «تفتكروا الكورة دي تساوي كام مجلد سوبر ميكي؟».

وبعد أن فقدنا كرة طارق وفقدنا معها ذريعة تسمية فريقنا على اسمه، لم تعد مشكلتنا البحث عن اسم للفريق فقط، بل أصبح الأهم أن نجد كرة يلعب بها الفريق دون أن يذل نفسه لفرق أخرى

لا تحمل أسماء الأبطال مثلنا، لكنها تحظى دائما بما لم نجربه من قبل؛ نشوة الانتصار.

* * *

ما جاء سريعا يذهب سريعا؛ ولذلك حلت نهايتي في الملاعب بأسرع مما توقعت، أسرع حتى من بدايتي.

قلت لكم إنني تألقت فجأة في مركز حارس المرمى بفضل تلك الفتاة الساحرة العينين الكلبوظة الخدين العارية الذراعين، قد تبدو لكم صورة الفتاة متناقضة أو ربما فَجّة، لكنها مطبوعة في ذاكرتي؛ هكذا منذ أن رأيتها لأول مرة وقد طلعت علينا من البلكونة بقميص منزلي لم أكن قد عرفت بعد أنهم سيطلقون عليه يوما ما «كت»، لم يكن ذلك الخروج بذراعين عاريتين أمرا استثنائيا في تلك الأيام الخوالي، كثيرات كُنّ يخرجن إلى البلكونات حاسرات عن أذرعهن، لكن إذا كانت صوابعك مش زي بعضها كما يقول المثل، فبالتأكيد لن تكون ذراعاتك كذلك.

عمرو؛ أحد رفاقي الذي يسكن في بلكونة تعلو بلكونتها، قال لي إنها تعودت أن تقف أيضا في البلكونة عارية الساقين، وشكر لي في ساقيها جدا، لكنني لم أصدقه، بل ولم أُعِره انتباها، حرصا على عدم نقلها من الخانة الشاعرية إلى الخانة الحسية التي كانت مكتظة بما فيه الكفاية.

أسمع الآن من يسألني عن اسم تلك الفتاة، فيوسوس إليّ الشيطان أن أحتذي حذو شعراء الغزل وأذكر اسمها، لعله في

حالة أصبحت خالدا، يصبح هو الآخر اسما خالدا كما تخلّدت أسماء «عزة وليلى ولبنى ولميس وسعاد وفاطم وعبلة»، وغيرهن من المفضوحات على رءوس الأشهاد على مر العصور، لكنني أجدني عاجزا بفعل الحياء ومخافة الله والخوف على ولاياي عن ذكر اسمها برغم مرور السنين، فضلا عن أنني لا أرى في الأفق المنظور أسبابا منطقية تضمن خلود اسمي؛ مما يعني المخاطرة بكشف اسمها للعامة دون أن أضمن له الخلود، يوووه، طيب، بما أنني ذكرت الخوف من الله دعوني أصارحكم للحقيقة والتاريخ بأن ما يمنعني من ذكر اسمها ليس الخوف من الله، بل هو النسيان، أستغفر الله العظيم، الصراحة بقى أن ما يمنعني من ذكر اسمها هو أنني لم أعرف اسمها أبدا؛ لأنها كانت قد انتقلت مع أسرتها إلى المنطقة حديثا، ولم يكن لها إخوة أولاد يمكن أن ندحلب أحدهم في الكلام لمعرفة اسمها بأسئلة من نوعية «أنت عندك إخوات قد إيه بقى؟».

كل الرشاوى التي دفعتها لرفيقي الساكن أعلاها لم تفلح في التقاط اسمها أثناء أي محادثات عائلية يحملها الهواء خارج المجال الجوي لشقتها، عندما اتهمته بابتزازي وحجب الحقيقة عمدا، سمح لي بالبقاء عصرية كاملة في بلكونته مشترطا عليّ ألا أنظر إليها؛ لأنني لن أستطيع السيطرة على نفسي وستفضحني نظراتي، وربما سمعنا كلاما لا يرضينا من أهله أو أهلها، طالبا مني ألا أنسى الهدف المحدد الذي جئت من أجله وهو التقاط اسمها، وبعد ثلاث ساعات مرت كأنها دهور بدا أنني سأنال مرادي عندما

علا صوت والدها يخاطب والدتها: «قولي للجزمة اللي واقفة في البلكونة تخش جوه أحسن أخرج أجيبها من شعرها».

ومع أن اسمها صار منذ ذلك اليوم وسط رفاق الفريق «الجزمة اللي واقفة في البلكونة»، إلا أن ذلك لم يثنني أبدا عن مواصلة إبهارها بالحركات التي جلبت لي عن جدارة لقب التمساح الطائر، وبفضلها كانت حراسة المرمى قد تحولت لديَّ إلى إدمان جعلني أتخذ من الحارس الألماني «شوماخر» مثلي الأعلى دوليا، ومن الحارس العراقي «رعد حمودي» مثلي الأعلى عربيا، ومن الحارس العظيم «ثابت البطل» مثلي الأعلى محليا، بل وتحولت إلى موسوعة متنقلة فيما يخص حراس المرمى بدءا من أسماء أشهر حرّاس المرمى دوليا ووصولا إلى رواية النكت والطرائف والغرائب التي تخص حراس المرمى وعلى رأسها الواقعة الأشهر التي كان بطلها المعلق الرياضي «علاء الحامولي» الذي أفلتت منه كلمة نابية تعليقا على كرة عبيطة دخلت في حارس مرمى الزمالك «عادل المأمور»، صحيح أن هذه المعرفة الموسوعية لم تفلح في التقليل من «دستات» الأهداف التي كانت تدخل في مرماي كل ماتش، إلا أن ثقتي بنفسي لم تتزعزع ولو للحظة؛ لأن ما كنت أصُدُّه كان أكثر بكثير مما يدخل في مرماي. صحيح أن الأهداف التي كانت تدخل في مرماي كان يمكن صد أغلبها لو لم أكن منشغلا بالنظر إلى حيث تقع بلكونتها، التي كانت لسوء الحظ تقع خلف المرمى، لكن تعاطف الفريق مع حبي الأفلاطوني للجزمة اللي واقفة في البلكونة كان كافيا لتفَهُّم موقفي، فضلا عن أنه لم يكن أحد في الفريق يفعل

ما عليه، ويكفيك في ذلك أن لدينا رأس حربة، الهدف الوحيد الذي أدخله في شباك أحد خصومنا كان نتيجة ارتطام الكرة بمؤخرته.

❊ ❊ ❊

«طيب إذا كنتم فشلة إلى هذا الحد المخجل فلماذا كنتم مصممين على الاستمرار في لعب كرة القدم؟»، بالطبع سؤالك منطقي تماما، لكنه كما يقول المؤرخون خارج عن السياق التاريخي تماما؛ لذلك أنصحك أن تحتفظ به لنفسك وتتركني أكمل حكايتي.

الكدب خيبة، لم يكن لنا في الكورة، ولكن لم يكن لنا غيرها أيضا، لو كنت قد شهدت طفولتك في تسعينيات القرن العشرين فلك أن تحمد الله على ما أسبغه عليك من آلاء نِعَمِه؛ لأنه لم يشأ أن يجعلك تعيش طفولتك في سبعينيات ذلك القرن مثلنا، حيث لم يكن على أيامنا لا بلاي ستيشن ولا أتاري ولا قنوات أطفال ولا أطفال شوارع؛ لأن الشوارع لم تكن إلا للأطفال.

كنا أصغر وأفقر من الجلوس على القهوة للعب الدمنة والطاولة وشرب السجاير، وبالطبع كنا «أرجَل» من اللعب في الخرابات وبالقرب من شريط القطر، ستفهم قصدي إذا كنت قد تلقيت عرضا للعب في خرابة أو بجوار شريط قطر، سواءً كنت قد قَبِلت ذلك العرض أم رفضته بحمد الله، باختصار يا سيدي لسنا أطفالا في أيسلندا لكي تخيرنا بين الذهاب إلى القبة السماوية لمشاهدة مدارات الأفلاك، أو قضاء الوقت بصحبة الكائنات الإسفنجية في

متحف الأحياء المائية، أصلا أنا لم أعرف أن هناك متحفا للأحياء المائية في الإسكندرية إلا في سنين المراهقة، عندما اصطاد صديق لي سمكة متعددة الألوان بشكل مقلق، واصطحبني معه في رحلته إلى المتحف لكي يبيعها لمسئولي المتحف، وبرغم أننا وصلنا متأخرين بسبب زحام المواصلات، إلا أن صديقي البارع من يومه في البيزنس باع السمكة لأحد السياح اليابانيين أمام قلعة قايتباي والذي «نفح» صديقي ورقة مالية كادت ألوانها تجعله يخر مغشيا عليه، أخذنا الكورنيش جريا حتى أقرب شركة صرافة في محطة الرمل، وهناك اتضح أن ما نحمله ليس ينًّا يابانيا كما أفتيت، بل ورقة من عملة سنغافورة التي لم يكن أحد في محطة الرمل وما جاورها يعرف وقتها موقعها على الخريطة، فضلا عن معرفة اسم عملتها، ولا «تجيب كام بالمصري»، ومع ذلك وبفعل العشم سأل صديقي ذلك السؤال ليتلقى عليه إجابة قبيحة من صراف أشِرّ، لكن الفائدة التي لا تقدر بمال والتي حصلنا عليها ذلك اليوم، هو أنه ليس كل آسيوي يابانيا أو صينيا بالضرورة.

وقبل أن يصبح بمقدورنا تعلم أي دروس من أي نوع، كان الشارع هو المأوى الوحيد لأي عَيِّل لا يحب أن يقول عنه أهله «الواد ده مش طبيعي»، وكانت الكرة هي الحلم الواقعي الوحيد بعد أن تجاوزنا مرحلة «غرانديزر انطلِق»، كنا سيئي الحظ لدرجة جعلتنا نفارق الطفولة قبل ظهور «الكابتن ماجد» ليصبح فتى الأحلام الأول. كان حلم الكرة حتى ذلك الوقت حلما رومانسيا منزها من دنس المادة، فلم نكن قد دخلنا في مصر، ولا في العالم

بأسره، عصر الاحتراف الذي يساوي اللاعبون فيه الشيء الفلاني، كانت أقصى ميزة يمكن أن يحصل عليها اللعيب الحريف هي السماح له بأن يأكل في أي وقت شاء من كانتين النادي، فضلا عن الحصول لأقاربه في مواسم الانتصارات على ترينجات وكوتشيات وشرابات وغيارات داخلية غير متوفرة في السوق المحلية.

نعم كانت الأحلام مجانية، لكني دفعت ثمنا باهظا للإفاقة منها، يومها طارت الكرة صوب مرماي، فخطفت نظرة إلى فتاة أحلامي التي سأصارحك بأنها كانت تكبرني بعشر سنين على الأقل، كأنني أستأذنها في أن أطير في الهواء، ثم أطير في الهواء، أو هكذا كنت أظن، لتستقر الكرة في أحضاني، ويستقر رأسي في أحضان الحجر الأيسر للمرمى الذي لم يكن حنونًا أبدا فأطار الدماء من رأسي، غبت عن الوعي للحظات، أفقت بعدها على أيادٍ تزغد وأقدام تركل ووجوه تتساءل، كنت لا أزال متشبثا بالكرة بكل إخلاص، واصلت إمساكها بيدي اليمنى، وباليد اليسرى أزحت أكثر من جسد يحجب عني رؤية من أحب، كنت أريدها أن تراني غارقا في تضحيتي، وعندما باتت بلكونتها في مجال رؤيتي لم تكن هي واقفة هناك، لم أسمع سوى اللعنات تنصب عليّ من جميع من حولي، ربما سمعت كلمة «بُنّ» لكنني لم أفهم علاقتها بالموضوع، لا أذكر الآن ما الذي حدث بعدها بالضبط، لكنني أعرف جيدا كلما مررت على تلك الوسعاية، أن أحلامي في أن أصبح يوما ما أسطورة كروية لفظت أنفاسها هنا، على حجر كان هنا، سالت عليه كريات دمي الحمراء؛ لأنني كنت وقتها أعتقد أن كريات الدم البيضاء لونها أبيض.

# .. وأُخرى نحيلة

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

## سيرة حياة

في اليوم الذي امتلَكَ فيه غرفة للمعيشة.. مات!

## بعد فوات الأوان

اليـوم مـررت بالصدفة إلى جـوار الممر الذي تزحلقنا سـويا على بلاطه ذات يـوم. أغراني الحنين إليكي بتكـرار التجربة، لكنني تذكرت أننـي أضعت تليفونات طبيـب العظام الذي أثق بـه، فاكتفيت بالحنين ومشيت من سكات.

## معانٍ مزدوجة

فـي خروجتهما الأولى وقفا سـويا علـى الكورنيش، قالـت له: ياه، البحـر هايج أوي النهـارده، قال لها: مش لوحـده، نظرتْ إليه بغضب، فقال مبتسما بمكر: السُّحُب أيضا كذلك.

## فيش وتشبيه

كانت تسود الطابور حالة من الوجوم، جميعهم لم يصدقوا أنهم سيُطلب منهم بعد كل هذا استخراج صحيفة الحالة الجنائية لتبرئة ساحتهم من الاتهامات الموجهة إليهم، غرق كل منهم في أفكاره لكي يهرب من شعوره بالمهانة، قائلا لنفسه إنه يفعل ذلك فقط لكي يتجنب أهله ذل السؤال، لكنهم أجهشوا بالبكاء عندما انفجر أحدهم صارخا: «مش كفاية إننا استشهدنا عشانكو يا أولاد الكلب».

## إنجاز

عندما أدرك أن الطائرة هاوية لا محالة، قرر أن يستسلم لقدره ويكتفي بتذكر أسعد اللحظات في حياته لكي يبلغ النهاية وهو يحمد الله مبتسما راضيا. حتى الآن لا يصدق أن ما استدعاه ذهنه وقتها كان فقط سعادته لأنه فقد بعض الوزن بحيث لم يعد يحتاج حزاما إضافيا لمقعد الطائرة.

## أذواق

الشهداء وحدهم لم يشاهدوا لحظة النطق بالحكم على قاتليهم؛ لأن ذوقهم في الكوميديا الهزلية أكثر رُقيًا من الجميع.

## ثمن الحرية

خنقتــه الرســميات التي عاش يراعيها طيلة عمــره، فقرر أن يجرب لحظة جنون ويخلع حذاءه ويمشي حافيا، شعر بسعادة غامرة لكنها لم تدم طويلا؛ لأن قطعة زجاج اخترقت باطن قدمه فاختل توازنه ليســقط ويرتطم رأســه بحاجــز الرصيف، وبينما ينتظر وصول الإســعاف وهو بيــن الإفاقة والإغماء ســمع أُمًّا تقف بين المــارة المتفرجين وهي تقول لابنيها: «شايفين يا ولاد.. آدي آخرة اللي يمشي حافي».

## مفارقة

لم أعرف كيف أرد على صديقي عندما قال لي باكيًا:

«كتبت ذكرياتي على الحيطان، جُم بيّضوا».

## حركة تنقلات

وحدها تقلبات القلب هي التي جعلتكِ تنتقلين من قائمة «الريســيفد كولز» لكي تسكني على الدوام في قائمة «الميسد كولز».

## سوء تفاهم

سحرتني ضحكاتها له وذهبت بي بعيدا، بعيدا جدا، وعندما استعدت ذاتي، قررت أن أذهب إليهما لأقول له: لا أريد منكما شيئا، وأتمنى لكما الخير، فقط هل يمكن أن أجلس في مقعدك للحظة وتطلب منها أن تضحك لي تلك الضحكة الفاتنة التي كانت تضحكها لك؟! لا أريد أن أضايقكما أبدا، أريد فقط أن أتذكر ضحكة من أحب، فضحكتها الفاتنة تشبهها، هذا كل ما في الأمر. عندما اقتربت من ترابيزتهما قلت لنفسي: المشكلة ليست فيها هي، المشكلة فيه هو، هل سيفهمني صح؟ بعد قليل وعندما عدت لأستقر على ترابيزتي بشعر منكوش وهالة سوداء حول عيني وكرامة مبعثرة، كنت أضحك من كل قلبي لأنني لم أستطع أن أنسى أنها عندما كانت تراقب فتاها وهو يضربني.. كانت تضحك تلك الضحكة.

## مخلفات حرب

نظرتُ إلى الظفر المكسور الذي خلفته وراءها بعد أن غادرت غرفتي غاضبة، وشعرت للحظات بحنين جارف إلى كل الهناءات التي عشتها معها، لكنني عندما نظرت في المرآة إلى الأثر الذي تركه ظفرها في وجهي قبل أن ينكسر، أفقت من حنيني وقلت: لنشكر الله أنها جاءت على قد ظفر وحيد، ثم عزمت على ألا يبقى منها لديّ سوى ظفرها المكسور. والله المستعان.

## إظهار أرقام

اتصلتُ بها، ردت على الفور، ابتَهَجْت، لم يدم ابتهاجي عندما وجدتها تقـول بصوت مسـتطلع: مين معايـا؟ عندما نطقتُ بصوت متحشـرج يغمـره الحنين: ده أنا..إزيـك؟ فوجئت أنها غمغمـت بارتباك، فأدركت حينها سر ردها السريع، هي ببساطة لم تقم بتغيير سجل تليفونها بعد إدخـال الأرقـام الجديدة، هذا كل ما في الأمر. بعـد لحظات من الصمت قالت لي: أنا آسفة، أصل النِّمَر ما بتظهرش عندي. قلت لها: ماشي طيب أنا هاقفل حالا، سـجلي اسـمي، وأنا هاتصل بيكي بعـد دقيقتين، لازم تاخـدي حقك كاملا فـي أخذ قرار الرد من عدمه. شـكرتني، وأنا قفلت السكة، وبالطبع أنت أذكى من أن تنتظر نهاية مختلفة للقصة، أيوه، الله ينور عليك، عندما اتصلتُ ثانية لم ترد.

## أسباب خاصة للغثيان

أخـذت أنظـر إليه وهو يتقافـز حولي فرحا، فرثيـت لحاله وحالي، كنـت لا أزال أجلس على أرضية الحمام خائـرة القوى وعلى فمي بقايا ما أفرغتـه للتو من جوفي. وهـو كان فرحا لأنه يظنني حاملا في جنينه الذي أطال انتظاره، وأنا كنت أسـأل نفسـي بكل ما خلقه الله من حزن: مـاذا سـيفعل لو عرف أن نوبـة الغثيان التي داهمتنـي، كانت لأنه عاد مجددا ليُقبِّلني في فمي.

## أوامر

اكتشـف أنه يمكن أن يكتـب تاريخ علاقته بها، فقـط إذا تذكر كل المـرات التي داس فيها علـى لوحة المفاتيح ليختـار واحدا من أمرين: «إضافة صديق»، أو «احذف من قائمة أصدقائك».

## بطء في التفسير

لفترة من الوقت لم أحسم ما إذا كانت تلك حفاوة زائدة منها أم دلائل إعجاب ينتظـر مبادرة ما منـي، بالأمس فقط تأكد لي أنـه كان إعجابا عندما رأيت نظـرات الكراهية الواضحة التي صوبتها نحو زوجتي التي قررت أن تفاجئني وتزور الكافيه الذي أعمل به كل يوم.

## ذاكرة انتقائية

لـم أعد أذكر الآن ما هو أول فيلم شـاهدناه في السـينما معا، لكني أذكر تماما إلى أي حد توغلت يدي يومها في ذلك الظلام اللذيذ.

## استعارة

لن يصدق أحد من الجالسين إلى جواري في العزاء والذين يعلمون جيدا كم كان المرحوم قريبا إلى قلبي، أن كل ما أفكر فيه الآن هو: هل سيفهمني ورثة المرحوم بشكل سليم لو طلبت منهم غدا أو حتى بعد أسبوع أن يبحثوا في مكتبته عن الجزء الأول من حياة الحيوان الكبرى للدميري؛ لكي لا يظل الجزء الثاني وحيدا في مكتبتي؟

## لكن ربنا ستر

لم يستوعب سكان الشارع منظره وهو يسجد أمامهم شكرا لله ثم ينفجر في ضحك يكاد يكون رقيعا، في البدء تعاطفوا معه وظنوا أن ما جرى له كان بتأثير صدمة تلك الهزة القوية التي أخرجت الناس مرعوبين من عماراتهم وذكّرتهم بمخاوف كانوا قد نسوها، عندما استمر في السجود ثم الضحك مجددا اضطروا لنهره، وهو حاول التماسك لكنه عاد إلى الضحك عندما طلب منه أحدهم أن يحترم نفسه شوية ويشرح لهم لماذا يسجد بخشوع ثم يضحك بهستيريا، وهو بالطبع لم يكن يستطيع أن يحكي لهم أنه يجمع بين السجود والضحك؛ لأنه لا يكف عن تصور ردود أفعال من كانوا سيجدونه تحت الأنقاض لو كان المبنى قد انهار وهو في الحمام.. يفعل ما كان يفعله.

## كشف حساب

يقول لنفسه كثيرا هذه الأيام إنه قد قارب على الاكتمال، منذ سنين ليست بالبعيدة لم يكن لديه حرفيا أحد في حياته، والآن أصبح لديه كل شيء: زوجة وأولاد وبنات وأصدقاء وصديقات وطليقات وزملاء وزميلات ورفاق ورفيقات ومعجبون ومعجبات وكارهون وكارهات، كل ما ينقصه الآن أن تكون لديه أرملة، فقط لكي يكتمل!

## «Save as»

كان قد مضى على رحيله الفاجع يوم واحد عندما اكتشف أخوه وهو يُقلب في أشيائه بحنين جارف إليه أنه كان يحتفظ على سطح كمبيوتره المحمول بملف مفتوح كان يجمع فيه نصوصا لكل الرسائل التي تأتيه من أهالي الشهداء وأصدقائهم قائلة له: «كان يحبك، كان يقرأ لك، كان يحتفظ بتوقيعك على كتاب، حتى عندما كان يغضب من بعض آرائك كان يدافع عنك ضد الغاضبين، هذا رابط لصورة التقطها معك في الميدان، هذه التويتة التي أرسلها لك قبل أن يستشهد بأسبوع.. بشهر.. بشهرين»، كاد البكاء أن يخنق أخاه فسارع بإغلاق الملف ليرى أمامه رسالة أرسلها له الكمبيوتر تقول: «هل تريد حفظ التغييرات على ملف «أنضف من فينا»؟».

## كول تون

يــا ســلاااااام، تخيل أنها لا زالــت تضع ذلك «الكول تــون» البديع الذي داســت علامة النجمة يوما ما وأخذته مني عندما كنا نحب بعضنا بعضًا ونكلم بعضنا لســاعات وساعات. سمِّني عبيطا عندما أقول لك إن احتفاظهــا بذلك «الكول تون» يعطيني الأمل ولــو للحظات أنها لا زالت تتذكرني، فهي على الأقل تأخذ قرار الاحتفاظ بشــيء من ريحتي مطلع كل شــهر، عندمــا تصلها تلك الرســالة من شــركة المحمول لتســألها: «عزيــزي العميــل: هــل ترغب فــي تجديد الكــول تون الخــاص بك؟». يا سلاااااام.

## قبل الفرملة

وهي تعبر إلى جواري، فجأة نظرَتْ إليّ وابتسمت ابتسامة ساحرة، وأنــا وقفت مذهولا وقلت لنفســي: أمــوت وأعرف لمــاذا خصّتني بتلك الابتســامة، فأنا لا يبدو مظهري مميزا، وملابســي أقل من العادية، ربما ذكرتهــا بأحــد تعرفه، ربمــا رأت ملامــح الإعجاب بجمالهــا بادية على وجهي فابتســمت، أمــوت وأعرف!! هــل أناديها لكي أســألها وليحدث ما يحدث؟ نعم ســأفعل . لماذا أموت وأنا يمكن أن أعرف؟ فجأة قبل أن أستدير لأناديها لأعرف، سمعت صوت فرملة حادة أعقبه صوت ارتطام ثم أصوات صرخات تتعالى من كل اتجاه، ســأموت دون أن أعرف، فقد ماتت هي.

# سين سؤال

لم يفارقها حزنها ولو للحظة بعد استشهاده، لكن حزنها لم يمنعها طيلة العام الأول الذي أعقب قتله من أن تجيب بحماس كلما سألتها ابنتُها: «كيف استُشهِد أبي؟»، ثم قضت العام الثاني وهي تغالب حزنها كلما واجهتها ابنتها بسؤالها المرير الذي تفجره تفاصيل مزعجة كثيرة حولهما: «متى يعاقبون من قتل أبي؟»، ما يحزنها حقا الآن أنها تعلم أنها لن تكون قادرة على التماسك أبدا إذا واجهها السؤال الذي تعلم أنه قادم لا محالة في العام الثالث أو ما بعده: «هل من أجل هذا استُشهِد أبي؟!».






عصير الكتب
Facebook.com/groups/Book.juice

# الشيخ العيّل

اليوم، وبعد كل هذه السنين لم يعد باقيا من ذكراه سوى ذلك التسجيل اليتيم الذي يتناقله الناس على أجهزة المحمول، والذي التقطه له شخص ما من العاملين في أجهزة الأمن قبل لحظات من اقتياده إلى مكان ومصير غير معلومين. ضحكته كانت صافية كأنه عريس غارق في الهناء، ووجهه كان يشع نورا أو لعلها كانت إضاءة الجهة الأمنية التي كان محتجزا بها، وصوته كان هادرا لدرجة جعلت كل من سمعه يتخيل أنه يكلمه هو دون غيره، كل الذين سمعوه لم يكونوا بحاجة لإعادة الفرجة عليه لكي يحفظوا ماقاله، ألسنتهم ما زالت تلهج بكلماته كأنها قيلت للتو «لن تتحقق العدالة في هذه البلاد، لذلك احلموا بها وهي تحل على الجلادين والقتلة والفاسدين، ثم اروو أحلامكم لأبنائكم كل ليلة، لعلها عندما يكبرون تنتقل بشكل خرافي من عالم النوم إلى عالم اليقظة».


9 789770 931974

دار الشروق
www.shorouk.com

عصير الكتب
Facebook.com/groups/Book.juice